

مظاهر الوعي في شعر الجهاد ضد الصليبيين

الدكتور محمود بن عبدالله أبو الخير

قسم البلاغة والأدب والنقد - كلية اللغة العربية

والعلوم الاجتماعية في الجنوب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدخل :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفوة الخلق، وخاتم الرسل وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فمنذ أن بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وهادياً، ومنقذاً للبشرية، ثارت نائرة الجهل والجهلاء، ولما تهدأ بعد . والجاهلية ليست حالة زمنية، بل حالة فكرية غير محدودة بزمان أو مكان .

وكان أشد أعدائه صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن الجاهليين - قتلة الأنبياء من اليهود، والذين حرّفوا كلام الله تعالى عن مواضعه، وأشركوا به، وجعلوه ثالث ثلاثة، من النصارى، فقد جعل كل أولئك همهم ووكدهم محاربة الحق الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين، ووضعوا نصب أعينهم إطفاء النور الذي أشعل مشكاته صلى الله عليه وسلم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

واحتدمت المعركة بين الإسلام وأعدائه، وظلت ملتهبة الأوار عبر الحقب المتعاقبة . وستظل مستعرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿وَلَنَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تُلَاقِيَهُمْ﴾^(٢).

لقد طفق أعداء الإسلام يتريصون به الدوائر، منذ أن سطعت شمسهم، وأشرق نوره، ليبدد ظلام الشرك والوثنية، والجهل والظلم، وظلّوا يشنون عليه المعركة، تلو المعركة في سلسلة متتابعة الحلقات من الهجمات والمعارك العسكرية والفكرية .

ومع أن حقيقة تلك الحروب واحدة، وجوهرها ثابت، وهو الكيد للإسلام، واجتثاث أصوله، إلا أنها تتشكل بأشكال متعددة، وترتدي أزياء مختلفة، وتتخذ

أسماء وألقاباً متنوعة : فهي أحياناً حروب معلنة ، تلتقي فيها الجيوش ، وتتصارع فيها القوى ، كحرب الثغور ، والحروب الصليبية ، والاستعمارية ، وهي أحياناً أخرى تختفي تحت مسوح العلمانية ، أو الماسونية ، أو التبشير ، أو غير ذلك من التسميات .

وأقف وقفة يسيرة عند حلقتين من حلقات الحرب ضد الإسلام ، هما : الحرب الصليبية والحرب الاستعمارية ، لأربط بينهما في الغايات والأهداف ربطاً سريعاً ، يتمثل في قولين مشهورين ، لقائدين من قادة الحروب الاستعمارية المشهورين . أما الأول فللجنرال الفرنسي غورو (Goro) الذي كان أول ما فعله عند دخوله دمشق عام (١٩٢٠م) أن توجه إلى ضريح صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - فركله وهو يردد : (قم يا صلاح الدين فما قد عدنا)^(٣) وأما الثاني ، فللقائد الإنجليزي ألنبي (Alenbi) الذي هتف عندما دخل القدس في أعقاب الحرب العالمية الأولى : (الآن انتهت الحروب الصليبية)^(٤) .

وقد خاض الشعر العربي معركة الإسلام ضد أعدائه على مر العصور . خاض معركة الإسلام ضد الجاهلية ، واليهودية ، والنصرانية في العهد النبوي الشريف ، في بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين ، وخيبر ، ومؤتة ، وسواها ، حيث لمعت أسماء شعراء مجاهدين كثر ، وفي مقدمتهم : عبد الله بن رواحة (ت : ٨هـ) ، وكعب بن مالك (ت : ٥٠هـ) ، وحسان بن ثابت (ت : ٥٤هـ) رضي الله عنهم .

وخاض معركة الإسلام ضد الفرس والروم في : أجنادين ، ونهاوند ، وجلولاء ، والقادسية ، وغيرها ، فبرزت أسماء كثير من الشعراء الفاتحين : مثل : عاصم بن عمرو التميمي (ت : بعد ١٥هـ) ، وربيعه بن مقروم الضبي (ت : ١٦هـ) ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي (ت : ٢١هـ) ، وأبو محجن الثقفي (ت : ٢٨هـ) ، والقعقاع بن عمرو التميمي (ت : ٤٠هـ) ، وبشر بن ربيعة الحثعمي ، وسواهم .

وخاضها عند النصرانية التي ظلت تحاول العودة إلى ديار الإسلام ، فيما أطلق عليه حرب الثغور فتلاّت أسماء في سماء الشعر العربي الحربي ، كأبي تمام ، (ت : ٢٣١هـ) والبحتري ، (ت : ٣٨٤هـ) ، والمتنبي (ت : ٣٥٤هـ) وأبي فراس الحمداني (ت : ٣٥٧هـ) .

وخاضها ضد الصليبيين فيما عرف في التاريخ باسم الحروب الصليبية، فلمعت أسماء تستحق الإعجاب، مثل: ابن القيسراني (ت : ٥٦٧هـ)، ومحمد بن أسعد الحلبي (ت : ٥٨٨هـ)، والعماد الأصفهاني (ت : ٥٩٧هـ)، والشهاب الشاغوري (ت : ٦١٥هـ)، والبهاء زهير (ت : ٦٥٦هـ) وآخرون يضيق المقام عن ذكرهم.

وخاضها ضد المستعمرين في العصر الحديث، في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما يزال يخوضها ضد أعتى أشكال العداء بين الإسلام وأعدائه، في فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان وطاجيكستان وغيرها.

وهذا يثبت الشعر أنه ليس ترفاً في حياة الإنسان، بل صياغة جديدة للحياة، وتطلعاً مستمراً نحو التغيير، وتفاعلاً مع الأحداث، وتجسيداً لمعاناة الأمة، يرمي إلى تعميق إحساسها بواقعها، بقصد تجاوز ذلك الواقع.

لقد كان الشعر العربي على مرّ العصور حاضراً في مسرح الأحداث، قريباً من روح الأمة، فكان نبضها، وضميرها، وواكب مسيرتها الطويلة، مواكبة فاعلة ومؤثرة.

وقد تعرضت أمتنا الإسلامية في القرون : الخامس، والسادس، والسابع الهجرية، لهجمة صليبية شرسة، لا تفوقها ضراوة وشراسة بعد الهجمات المغولية سوى الهجمات التي تعرض لها الأمة في حاضرها. ولكن الله جلّت قدرته قيض لها قادة مؤمنين مجاهدين، نذروا أنفسهم في سبيل الله، ونصروا الله فنصرهم، وثبتهم، فأخذوا بأيدي أمتهم إلى شاطئ السلامة، وبرّ الأمان، بعد أن أحسنوا تعبئتها وإعدادها، واستغلال طاقاتها، وتوجيهها نحو الهدف الأسمى.

وقد شاركت فئات الأمة جميعها في معركتها المقدسة ضد الصليبيين المحتلين: العلماء، والفقهاء، والخطباء، والكتاب، والشعراء، والسياسيون، والعسكريون، والمفكرون، وتضافرت جميع الجهود لإنقاذ الأمة من معاناتها، وردّ كيد المعتدين إلى نحورهم.

وهذا البحث محاولة لرصد مظاهر الوعي عند شعراء الجهاد في عصر الحروب الصليبية. وهو في الوقت نفسه محاولة للردّ على من اتهموا شعر هذا العصر

بالانحطاط، والجمود، والسطحية، واتهموا شعراءه بنضوب القرائح وانعدام الإبداع^(٥)، والعيش على هامش الأحداث، دون أدنى محاولة لتعمق مفاهيم ذلك الشعر وسبر أغواره، واستخلاص دروسه وعبره، وفي وقت غدت فيه الحاجة ماسة إلى ذلك .

وإن المتأمل فيما تركه شعراء الجهاد إبان الحروب الصليبية يدرك عمق الوعي الديني والفكري عندهم، كما يلمس شدة إحساسهم بمسؤولياتهم، ونهوضهم بالأعباء التي يفرضها عليهم موقعهم من أمتهم .

وقد اتخذ ذلك الوعي مظاهر عدة، لعل أبرزها الأربعة الآتية:

- ١ - التركيز على إسلامية المعركة .
- ٢ - الاستبشار والتفاؤل .
- ٣ - النظرة الشمولية .
- ٤ - استلهام القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وجهاد الصحابة رضي الله عنهم .

المظهر الأول : إسلامية المعركة

لعل أول ما يطالع الباحث من مظاهر الوعي عند شعراء الجهاد في عصر الحروب الصليبية هو : التركيز على إسلامية المعركة التي خاضتها أمتهم ضد المحتلين الصليبيين، وإبرازها في صورتها الحقيقية من حيث هي معركة إسلامية اللّحمة والسدى، وتأكيد أن الإسلام هو أول المستهدفين فيها .

وقد ظل شعراء الجهاد حريصين على الصدور عن هذا الفهم، يحاولون ترسيخه في نفوس أبناء أمتهم، حتى قُيِّض لها النصر والتمكين، فخرجت من تلك التجربة القاسية موفورة الكرامة، مرفوعة الجبين .

ولعل من أبرز ملامح إسلامية المعركة في شعر الجهاد ضد الصليبيين حرص شعراء الجهاد على رص صفوف الأمة، وبناء جبهتها الداخلية بناء سليماً في وجه رياح العدوان الصليبي العاتية عن طريق تعزيز مبدأ الأخوة الإسلامية، وتدعيمه في نفوس

أبناء الأمة الإسلامية، لربطهم برباط العقيدة الإسلامية، ونبذ ما سواه من روابط العرق أو الإقليم أو غير ذلك.

فعندما سقطت القدس في براثن المحتلين (عام ٤٩٢هـ) وجه الشاعر أبو المظفر الأبيوردي^(١) (ت : ٥٠٧هـ) صرخة استغاثة إلى الأمة الإسلامية في كل ديارها وأقطارها، محذراً من مغبة التقاعس والتخاذل عن نصره القدس فقال: ^(٢):

فإيها بني الاسلام إن وراءكم وقائع يلحقن الذرا بالمناسم
أتهويمة في ظل أمن وغبطة وعيش كنوار الحميلة ناعم؟
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

والأبيوردي في هذه الأبيات يعزف على أوتار الأخوة الإسلامية، التي يقررها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣) من أجل إحداث مزيد من الإثارة الوجدانية، وينعني على بني الإسلام إخلادهم إلى خفض العيش، وبلهنيته، في وقت غدا لإخوانهم من أهل الشام بين مجاهد فوق صهوة حصان، ومرابط في سبيل الله، وشهيد لم يوسد الثرى، فتناوشته جوارح الطير، وكواسر الوحش .

وحينما طهر الشهيد عماد الدين زنكي^(٤) (ت : ٥٤١هـ) مدينة الرها^(٥) من دنس الاحتلال الصليبي عام (٥٤٩هـ) عمت أهازيج الفرح أرجاء العالم الإسلامي، فأرسل الشاعر ابن القيسراني^(٦) تهنئته إلى إخوة الإيوان في كل مكان من الأرض الإسلامية، قائلاً^(٧):

لِيَهْنِ بَنِي الْإِيْمَانِ أَمِنْ تَرْفَعَتْ رَوَاسِيهِ عِزًّا، وَاطْمَأَنَّ مَهَادُهُ

وعندما أرسل القائد نورالدين محمود (ت : ٥٦٩هـ) قائده الفذ أسد الدين (شيركوه)^(٨) (ت : ٥٦٤هـ) إلى أرض الكنانة، لتخليصها من الحكم الفاطمي، الذي كان يقف حجر عثرة في طريق الوحدة الإسلامية، نظر شعراء الجهاد إلى تلك المساعي على أنها خطوة نحو تحقيق الآمال الإسلامية، فقال عماد الدين الأصفهاني^(٩)، مخاطب شيركوه^(١٠):

شَكَا إِلَيْكَ بَنُو الْإِسْلَامِ يَتَمَهُمْ فَقُمْتَ فِيهِمْ مَقَامَ الْوَالِدِ الْحَدَبِ

فالمسلمون في مختلف ديارهم وأقطارهم يجمع بينهم ، ويوحد صفوفهم انتهاؤهم إلى الإسلام وارتباطهم به ارتباط الإخوة بأبيهم .

ومن ملامح إسلامية المعركة عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين : إطلاق الألقاب القرآنية على جيوش المسلمين التي حاربت الصليبيين وأعوانهم ، مثل : حزب الله ، وجند الله ، وما إلى ذلك .

وانطلاقاً من ذلك ، فإن الجيوش الإسلامية الزنكية التي حاصرت دمشق سنة (٥٤٦هـ) لإنقاذها من حكم مجير الدين أبق^(١٦) ، (ت : ٥٦٤هـ) المماليك للفرنجة هم (حزب الله) كما يقول الشاعر ابن منير الطرابلسي^(١٧) (ت : ٥٤٨هـ) مشنعاً على مجير الدين^(١٨) :

حَمَلَتِ الصَّلِيبَ بَاغِيًّا وَنَبَذَتْهُ وَثَغْرُكَ مَطْوُوسُ النَّبَاتِ وَأَذْرَدُ
وَحَارِبَتِ حِزْبَ اللَّهِ وَاللَّهُ نَاصِرٌ لِنَاصِرِهِ ، وَدِينُ أَحْمَدُ أَحْمَدُ

والجيوش الإسلامية التي أوقعت الهزيمة بالصليبيين في دمياط سنة (٦١٨هـ) هي كذلك جنود الله ، والله يؤيدها بالنصر والتمكين ، وإلى ذلك تطرق الشاعر بهاء الدين زهير^(١٩) في قصيدته التي هنا بها الملك الكامل الأيوبي (ت : ٦٣٥هـ) بذلك النصر العظيم ، حيث قال^(٢٠) :

وَبَاتَتْ جُنُودُ اللَّهِ فَوْقَ ضَوَامِرٍ بِأَوْصَاحِهَا تُغْنِي السُّرَاةَ عَنِ الْفَجْرِ

وقال في القصيدة نفسها مخاطباً قائد النصر ، ومطلقاً لقب (حزب الله) على جيش المسلمين :

فَلَا زِلَّتْ حَتَّى أَيْدِ اللَّهِ حِزْبَهُ وَأَشْرَقَ وَجْهُ الْأَرْضِ جَذْلَانِ بِالنَّصْرِ

والله - سبحانه وتعالى - ينصر من ينصره ، ويقاقل في سبيله ، كما وعد في محكم تنزيله ، حيث قال : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ نَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرَكُمْ وَيُنْثِيَتْ أَقْدَامُكُمْ ﴾^(٢١) ونصره - تعالى - لعباده المؤمنين غير محدود بزمان أو كيفية . فلا غرابة - والحالة هذه - أن يتصور شعراء الجهاد ضد الصليبيين أن الله تعالى يمدّ جيوش المسلمين بالملائكة الأبرار يحاربون في صفوفهم ، كما

أمد أسلافهم في بدر، والخذق وغيرها. وفي هذه المعاني يقول الشاعر أبو الحسن الجويني^(٢٢)،
(ت : ٥٨٦هـ) في فتح القدس^(٢٣) :

جُنْدُ السَّمَاءِ لِهَذَا الْفَتْحِ أَعْوَانُ مِنْ شَكٍّ فِيهِ فَهَذَا الْفَتْحُ بَرَهَانُ
ولا عجب كذلك أن يعبر شعراء الجهاد عن ثقتهم بنصر الله تعالى، وإعلاء راية التوحيد
فوق كل أرض، وأن يحاولوا غرس تلك الثقة في نفوس أبناء أمتهم.

ومن سلكوا هذا النهج الشاعر ابن القيسراني في قصيدته الدالية التي هنا فيها الشهيد عماد
الدين زنكي باسترداد مدينة الرها الحصينة حيث قال^(٢٤) :

وَمَنْ كَانَ أَمْلَاكُ السَّمَاوَاتِ جُنْدَهُ فَأَيُّهُ أَرْضٍ لَمْ تَرُدَّهَا جِيَادُهُ؟
ولا غرو أن يرى ابن القيسراني في ذلك النصر سمواً بالإسلام ورفعاً له، وذوداً عن حياضه،
فيقول من القصيدة نفسها^(٢٥) :

سَمَتْ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ فَخْرًا بِطَوْلِهِ وَلَمْ يَكْ يَسْمُو الدِّينُ لَوْلَا عِمَادُهُ
وَذَاذَ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ ابْنُ قَسِيمِهَا عَنْ الدِّينِ مَا لَا يُسْتَطَاعُ ذِيَادُهُ

ويعبر العماد الأصفهاني عن فكرة محاربة الملائكة في صفوف المسلمين، في قصيدته السينية
التي هنا بها السلطان صلاح الدين، (ت : ٥٨٩هـ) بفتح القدس، قائلاً^(٢٦) :

جُنُودُكَ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ وَظَنُّهُمْ عِدَاتُكَ جَنَّ الْأَرْضِ فِي الْفَتْكِ لَا الْإِنْسَا

ومن الملامح البارزة لإسلامية المعركة عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين صدورهم
عن وعي عميق لحقيقة الحرب التي خاضتها أمتهم ضد أعدائها الصليبيين. وفي هذا
السياق حرص شعراء الجهاد منذ بداية العدوان الصليبي على وضع تلك الحرب في
إطارها الصحيح، بوصفها حرب الإيمان ضد الكفر، وحرب الإسلام ضد أعداء
الإسلام، وحرب الحق ضد الباطل. ودأبوا على تبصير أمتهم بهذه المعاني، وشحنها
بتلك الحقائق، وتعميق تلك المفاهيم في نفوس أبنائها؛ وتوجهوا إلى ذلك واعين
لأبعاده، مدركين لأثاره.

فأولئك الغزاة الذين تدفقوا على ديار المسلمين كالسيول الجارفة، يثون الذعر بين

الآمنين، ولا يتورعون عن اقتراف أبشع الجرائم، ليسوا إلا كفاراً أو مشركين، وقد نظر إليهم شعراء الجهاد هذه النظرة، فترددت ألفاظ الكفر والشرك وسواها في وصفهم، وعند ذكرهم.

فالشاعر أبو المظفر الأبيوردي يدمغهم بالشرك في قصيدته الاستغاثية التي قالها عشية سقوط الأندلس قائلاً^(٢٧):

سَلَّلْنَ بِأَيْدِي الْمَشْرِكِينَ قَوَاضِيَا سَتُغَمِّدُ مِنْهُمْ فِي الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ

ويرى شاعر آخر أن احتلال الصليبيين للقدس ظلم يلحقه الكفر بالإسلام، وإهدار للحقوق الإسلامية، وانتهاك لحرمات المسلمين، واستباحة لمقدساتهم، فيرفع صوته قائلاً^(٢٨):

أَحَلَّ الشَّرْكَ بِالْإِسْلَامِ ضَيْباً يَطْوُلُ عَلَيْهِ لِلدِّينِ النَّحِيبُ
فَحَقُّ ضَائِعٌ، وَهَمِي مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَبِيبٌ

ليؤكد أن الإسلام هو أول الخاسرين في تلك المعركة، وأن أشد ما يؤله هو رؤية الدماء الإسلامية البريئة تراق ظلماً بأيدي الكفرة والمشركين.

ومن ذلك قول الشاعر ابن الخياط الدمشقي^(٢٩) معرضاً أحد مقدمي^(٣٠) أمراء دمشق على الجهاد في بداية الاجتياح الصليبي^(٣١):

إِلَى كَمْ وَقَدْ زَاخَرَ الْمَشْرُكُونَ بِسَّيْلِ يَهَالُ لَهُ السَّيْلُ مَدًّا
وَقَدْ جَاشَ مِنْ أَرْضِ إِفْرَنْجَةِ جِيوشٌ كَمَثَلِ جِبَالٍ تَرْدَى
تُرَاخُونَ مِنْ يَحْتَرِي شِدَّةً وَتَنْسُونَ مَنْ يَجْعَلُ الْحَرْبَ نَقْدًا
وَشَرُّ الضُّغَائِنِ مَا أَقْبَلَتْ لَدَيْهِ الضُّغَائِنُ بِالْكَفْرِ تُحْدَى
بَنُو الشَّرْكِ لَا يَنْكَرُونَ الْفَسَادَ وَلَا يَعْرِفُونَ مَعَ الْجَوْرِ قَصْدًا
وَلَا يَرُدُّعُونَ عَنِ الْقَتْلِ نَفْسًا وَلَا يَتْرُكُونَ مِنَ الْفَتَنِ جُهْدًا

ومن الواضح أن ابن الخياط قد عبّر عن إدراكه لحقيقة ذلك الغزو الشرس، ووضع يده على الباعث الحقيقي له ألا وهو الحقد على الإسلام الذي عبر عنه الشاعر

بلفظ الضغائن مكرراً في البيت الرابع ، وهو حقد ديني قبل أي اعتبار آخر، يدل عليه تسميتهم بالمشركين تارة، وبني الشرك تارة ثانية، ووصفهم بالكفر والفساد في مواضع أخرى.

وتمتد هذه النظرة لتصبح رؤية مشتركة عند شعراء الجهاد عبر كل مراحل الحروب الصليبية، فإذا قادتهم وملوكهم في رؤية شاعر كابن القيسراني ملوك شرك وكفر، لا ملوك أمم وشعوب. وفي ذلك يقول من قصيدته التي هنا بها عماد الدين زنكي بفتح الرها^(٣٢):

فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الشَّرْكِ تُسَلِّمُ بَعْدَهَا مَمَالِكَهَا إِنَّ الْبِلَادَ بِلَادُهُ

وإذا ديارهم ديار شرك، ترفع شعار التثليث، وتشهد انتكاساً في الفطرة، وردة في العقيدة. وفي ذلك يقول الشاعر ابن منير الطرابلسي في قصيدته التي هنا بها نورالدين محمود باسترداد بعض القلاع من الصليبيين^(٣٣):

أَخْلَى دِيَارَ الشَّرْكِ مِنْ أَوْثَانِهَا حَتَّى غَدَا ثَالِوُثُهُنَّ نَكِيرًا

ويدعو العماد الأصفهاني السلطان صلاح الدين إلى تخلص القدس من قبضة الكفر والطغيان، فيهدف به^(٣٤):

وَحَلَّصْ مِنَ الْكُفْرِ تِلْكَ الْبِلَادَ يُخَلِّصُكَ اللَّهُ فِي الْمَوْقِفِ

ويخلع العماد في حطينية السينية على قائد الصليبيين لقب عظيم الكفر، فيعبر عن نشوته بالنصر قائلاً^(٣٥):

رَأَيْتُ فِيهَا عَظِيمَ الْكُفْرِ مُحْتَقِرًا مَعْفَرًا خَدَّهُ وَالْأَنْفَ قَدْ تَعَسَا
أَفْنَاهُمْ قَتَلَهُمْ وَالْأَسْرُ فَانْتَكَسُوا وَبَيْتُ كُفْرِهِمْ مِنْ خُبَيْثِهِمْ كُنْسَا

ويقول في قصيدة سينية حطينية أخرى، معبراً عن شاتته بما حل بالصليبيين من نكال في معركة حطين^(٣٦):

كَفَيْفَ مَكُنْتَ الْمَشْرِكِينَ رُؤُوسَهُمْ وَدَأْبُكَ فِي الْإِحْسَانِ أَنْ تَطْلُقَ الْمَكْسَا

ولعل صدور شعراء الجهاد عن هذا الإدراك هو ما يفسر نظرهم إلى الوجود

الصلبيي على أنه وجود طارئ مؤقت، وباطل لا بد أن يزهد أمام الحق الإسلامي،
مهما تغطرس وتجبر. وهذه النظرة يجب أن تمتد إلى حياتنا المعاصرة، وأن يستشعرها
المسلمون في حروبهم التي يخوضونها ضد أعدائهم. وقد عبر عن هذا التصور ابن
القيسراني في قصيدته التي هنا بها جمال الدين الأصفهاني وزير الموصل^(٣٧) بفتح الرها
حيث استهلها مستعجلاً أن يزهد الباطل فقال^(٣٨):

أَمَّا أَنْ أَنْ يَزْهَقَ الْبَاطِلُ وَأَنْ يُنْجِزَ الْعِدَّةَ الْمَاطِلُ

هكذا أعطى شعراء الجهاد للحروب التي خاضتها أمتهم ضد الصليبيين هويتها
الحقيقية، حين عبروا عن إدراكهم الراسخ أن البعد الديني لتلك الحروب هو أهم
أبعادها وأعمقها، فكان الإسلام في فكرهم وتصورهم هو أول من تحل بهم النكبة
وقت الهزيمة، كما رأينا عند ابن الخياط الدمشقي، وأبي المظفر الأبيوردي، والشاعر
الأخر الذي أغفل التاريخ اسمه، كما كان أول المبتهجين عند النصر كما نجد عند
البهاء زهير في قصيدته الرائية التي هنا بها الملك الكامل الأيوبي بالنصر على الصليبيين
في دمياط سنة (٦١٨هـ)، حيث استهلها بقوله^(٣٩):

بَكَ اهْتَزَّ عَظَفَ الدِّينِ فِي حُلَلِ النَّصْرِ وَرُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا مِلَّةُ الْكُفْرِ

فالمعركة ضد الصليبيين في وجدان هذا الشاعر ليست سوى معركة الإسلام ضد
الكفر. والنصر الذي أحرزه المسلمون على الصليبيين يثبت في أوصال الإسلام مشاعر
البهجة والحبور، ويُجَلِّل وجه الشوك بالكآبة والحزني، فيندحر وهو يجرّ أذيال
الهزيمة.

ومما يتصل بإسلامية المعركة، وإكسابها هويتها الحقيقية حرص شعراء الجهاد على
استغلال الرموز الإسلامية ذات الارتباط الوثيق بوجدان المسلم، وذات القدرة الهائلة
على تحريكه ودفعه للتضحية في سبيلها، ووضعها وجهاً لوجه مقابل الرموز الصليبية.

ومن ذلك أن يجري الشاعر الاستغاث على لسان الرسول الأعظم محمد صلى الله
عليه وسلم ليشير عزائم المتخاذلين، ويحرك همم المتقاعسين. كما نجد في قصيدة
الاستغاث التي وجهها أبو المظفر الأبيوردي إلى المسلمين بعد الإحتلال الصليبي

للقدس . فبعد عرض صور من وحشية الصليبيين المحتلين وهمجيتهم ، يقول :

يَكَاذُ هَٰؤُلَاءِ الْمُسْتَعِجْنَ بِطَيْبَةِ يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ : يَا آلَ هَاشِمٍ
أَرَى أُمَّتِي لَا يُشْرَعُونَ إِلَى الْعَدَا رِمَاحَهُمْ ، وَالذِّينَ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى وَلَا يَحْسَبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لَا زِمَ

فصاحب الضريح الطاهر ينكر على أمته الإسلامية تخاذلها ، وتفريطها في مقدساتها ، ورموزها الدينية ، واستمراءها الذل والهوان ، وإيثارها السلامة والعودة عن الجهاد .

ويضع أحد شعراء الجهاد ضد الصليبيين الرموز المجسدة للعقيدة الإسلامية ، من : مسجد ، ومحراب ، وقرآن ، في مواجهة الرموز النصرانية ، من : دير ، وصليب ، وخنزير ، لتجذير الإحساس بالعمق الديني للمعركة ، فيقول عشية سقوط القدس في براثن الصليبيين^(١٩) :

وَكَمْ مِنْ مَسْجِدٍ جَعَلُوهُ دَيْرًا عَلَى مَحْرَابِهِ نُصِبَ الصَّلِيبُ
دَمَ الْخِنْزِيرِ فِيهِ لَهُمْ خُلُوقٌ وَتَحْرِيقُ الْمَصَاحِفِ فِيهِ طِيبٌ

ومن ملامح إسلامية المعركة عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين استغلال الحمية الإسلامية ، إدراكاً منهم لما لها من أثر في إحراز الانتصارات ، ورفع الضيم عن كواهل المسلمين .

فانطلاقاً من هذا الإدراك راح شعراء الجهاد يعزفون على أوتار الحمية الدينية ، ويحاولون إيقاظها في نفوس أبناء الأمة الإسلامية من خلال رسم صور مأساوية للحرمان الإسلامية التي تستباح ، والأعراض التي تنتهك ، والدماء البريئة التي تسفك .

وقد شارك في هذا الاتجاه نفر من شعراء الجهاد ، منهم : ابن الخياط الدمشقي ، وأبو المظفر الأبيوردي ، وغيرهما .

فابن الخياط الدمشقي يرسم صوراً لوحشية الصليبيين ، تظهرهم وقد تخلوا عن

إنسانياتهم، وتحولوا إلى وحوش كاسرة، لا تتورع عن ترويع الآمنات، وهتك الحرمات، وسفك الدماء فيقول من قصيدته الدالية التي يخرص فيها الأمير مجد الدين غضب الدولة بن عبدالرزاق (توفي سنة ٥٠٢هـ) على التصدي للصليبيين الذين تفاقم خطرهم، واستشرى فسادهم^(٤١):

وَلَا يَرْدُعُونَ عَنِ الْقَتْلِ نَفْسًا وَلَا يَتْرَكُونَ مِنَ الْفَتَكِ جُهْدًا
فَكَمَ مِنْ فَتَاةٍ بِهِمْ أَصْبَحَتْ تَذُقُّ مِنَ الْخَوْفِ نَحْرًا وَخَدًّا
وَأُمُّ عَوَاتِقَ مَا إِنْ عَرَفَ نَ حَرًّا وَلَا دُقْنَ فِي اللَّيْلِ بَرْدًا
تَكَادُ عَلَيْهِنَّ مِنْ خِيفَةٍ تَذُوبُ وَتَتَلَفُ حُزْنًا وَوَجْدًا

وفي القصيدة نفسها يهيب ابن الخياط الدمشقي بالمسلمين أن يهبوا للدفاع عن دينهم، والذود عن حرمتهم، غير مبالين بالموت، لأن الموت في سبيل العقيدة هو الحياة الحقيقية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٤٢) يقول ابن الخياط^(٤٣):

فَحَامُوا عَلَى دِينِكُمْ وَالْحَرِيمِ مُحَامَاةً مِنْ لَا يَرَى الْمَوْتَ فَقْدًا
وَسُدُّوا الثُّغُورَ بِطُغْنِ النُّحُورِ فَمِنْ حَقٍّ تُغَرِّ بِكُمْ أَنْ يُسَدًّا

وسار الشاعر أبو المظفر الأبيوردي على هذا النهج في قصيدته الميمية التي استغاث فيها بالمسلمين عند احتلال الصليبيين للقدس، فقال^(٤٤):

وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ قَدْ أُبِيحَتْ وَمِنْ دُمَى تَوَارِي حَيَاءً حُسْنَهَا بِالْمَعَاصِمِ
بَحِيثُ السِّيفِ الْبَيْضُ مُحَمَّرَةُ الطُّبَا وَسُمُرُ الْعَوَالِي دَامِيَاتُ اللَّهَازِمِ

ويعمق شاعر آخر في أذهان المسلمين وضمايرهم أن تغيير ذلك الواقع المر هو انتصار لله ورسوله ودينه، واستجابة لدعوة القرآن الكريم الملحة الخالدة إلى قتال الكفار، وامثال لقول الحق جل جلاله:

﴿فَقَاتِلُوا أَيُّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾^(٤٥) فيقول^(٤٦):

وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ أَمْسَى سَلِيْبًا وَمُسْلِمَةٍ حَرَمَ سَلِيْبُ
أَتَسْبِي الْمُسْلِمَاتُ بِكُلِّ ثَغْرِ وَعَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا يَطِيْبُ

أَمَّا لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَقٌّ يَدْفَعُ عَنْهُ شَبَانٌ وَشَيْبٌ
فَقُلْ لِدَوِي الْبَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا: أَجِيئُوا اللَّهَ وَيُحْكَمْ أَجِيئُوا

ومن ملامح إسلامية المعركة عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين: تركيزهم على أن الحرب التي خاضتها أمتهم ليست قتالاً، بل جهاداً في سبيل الله، غاية المسلمين فيه الظفر بالأجر والثواب، ودافعه الاحتساب، فهم لا يتطلعون من خلاله إلى أي غاية أرضية أو منفعة دنيوية، أو مكسب مادي، بل يدخرونه عند الله تعالى، ويحتسبون ما يصيبهم فيه لديه عز وجل. إنه تطلع مستمر نحو الجنة، ونهوض بفرض فرضه الله تعالى على المسلمين وبخاصة عندما تحتل أوطانهم، وتستباح حرمانهم.

فهذا الشاعر ابن القيسراني يهنئ وزير الموصل جمال الدين الأصفهاني بفتح الرها، ويثني على الملك المجاهد نور الدين محمود فيقول^(٤٧):

وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ دِ مُحْتَسِبٌ بِالْعِلَالِ قَافِلٌ

وينظر العباد الأصفهاني إلى الخطوات التي اتخذها أسد الدين شيركوه في مصر، من أجل تخليصها من حكم الفاطميين، ومن تواطؤ وزرائها مع الفرنجة على أنها جهاد واحتساب، وطاعة، وقربى إلى الله تعالى، فيقول^(٤٨):

وَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ مُحْتَسِبٌ فِي الْحَشْرِ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ وَالْقَرَبِ

ويختتم طلائع بن رزيك^(٤٩) (توفي سنة ٥٥٦هـ) قصيدته البائية التي وجهها إلى صديقه الشاعر أسامة بن منقذ (توفي سنة : ٥٨٤هـ) يحرص فيها على الجهاد بتأكيد فُرْضية الجهاد، قائلاً^(٥٠):

وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوِّ لِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ

ومن تلك الملامح مقابلة النصر بالشكر، فتعبيراً عن وعي شعراء الجهاد ضد الصليبيين لإسلامية المعركة حرصوا على مطالبة قادة الجهاد والمسلمين عامة بأن يقابلوا كل نصر أفاءه الله تعالى على المسلمين بشكره تعالى وحمده والثناء عليه، إدراكاً منهم أن النصر ليس إلا هبة من الله تعالى يمن به على عباده المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَا

رَمِيَتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحَمٌ ﴿٥١﴾ وقال عز وجل : ﴿وَمَا أَلْتَصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٥٢﴾ .

وانطلاقاً من ذلك الوعي نجد العماد الأصفهاني يمدح أسد الدين (شيركوه) بعد أن تمكن من الاستيلاء على مقاليد الأمور في مصر، وإنقاذها من تلاعب وزيرها شاور^(٥٣) وضرغام^(٥٤) بمصيرها، فيطلب إليه أن يقابل تلك النعمة بشكر الله تعالى، ويهتف به قائلاً^(٥٥) :

فأشكر الله حين أولاك نصراً فهو نِعَمَ المولى ونِعَمَ النصير

وقد عبر الشاعر بهاء الدين زهير عن ذلك الحرص أيضاً، في قصيدته التي هنا بها الملك الكامل الأيوبي بالنصر على الصليبيين في معركة دمياط سنة (٦١٨هـ)، حين طالب المسلمين بأن يتلقوا ذلك النصر بحمد الله تعالى وشكره، فقال^(٥٦) :

فقد أصبحت - والحمد لله - نعمة يقصر عنها قُدْرَةُ الحمد والشكر

ومثل ذلك كثير .

وهكذا كانت نظرة شعراء الجهاد إلى الحرب التي خاضتها الأمة الإسلامية ضد الصليبيين نظرة تنم عن وعي عميق، وتعطي لتلك الحرب هويتها الحقيقية، وتضعها في إطارها الصحيح، وسياقها التاريخي، فتفجر طاقات المسلمين، وتلهب حماسهم، وتمحّد إمكاناتهم، وتوجهها الوجهة الصحيحة .

ولعله قد اتضح من خلال العرض السابق أن تلك النظرة قد قامت على ما يأتي :

- ١ - تعزيز مبدأ الأخوة الإسلامية .
- ٢ - إطلاق الألقاب القرآنية على جيوش المسلمين التي تصدّت للصليبيين المحتلين، وأعاونهم .
- ٣ - تأكيد أن الله تعالى يؤيد المؤمنين بنصره .
- ٤ - ترسيخ الفهم الصحيح للأبعاد الحقيقية لتلك الحرب .
- ٥ - استغلال الرموز الإسلامية ذات الارتباط الوثيق بوجودان المسلمين .

٦ - استغلال الحمية الدينية .

٧ - مقابلة النصر بالشكر .

المظهر الثاني : الاستبشار والتفاؤل :

وإذا كان التعبير عن إسلامية المعركة هو المظهر العام الشامل لوعي شعراء الجهاد ضد الصليبيين، فإن ثمة مظاهر أخرى تتفرع عنه، وتنبثق منه، وتتصل به بأوثق سبب .

ومن تلك المظاهر تعبير شعراء الجهاد عن تفاؤلهم بكل حادث يمكن أن يسهم في تحقيق آمال أمتهم، وحرصهم على بث ذلك التفاؤل والاستبشار في نفوس أبنائها .

ولا شك أن شعراء الجهاد ضد الصليبيين قد صدروا في ذلك عن تمثّل عميق لدعوة القرآن الكريم إلى التفاؤل والأمل، ونبذ اليأس والقنوط، وإلى الثقة بالله تعالى، وحسن الظن به، مما تجسده آيات كريمة كثيرة منها قوله تعالى :

﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾^(٥٧) .

وقوله تعالى : ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٥٨) وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٥٩) ويدور هذا المظهر حول محورين رئيسين هما :

١ - الأحداث السياسية .

٢ - الكوارث الطبيعية .

المحور الأول : الأحداث السياسية

وفي هذا الإطار حرص شعراء الجهاد ضد الصليبيين على التعبير عن استبشارهم بالأحداث التي جرت على الساحة السياسية في أواخر عهد الفاطميين وبداية عهد الأيوبيين .

فعندما توجه أسد الدين (شركوه) وصلاح الدين يوسف إلى مصر لإنقاذها من ضعف خلفائها، وتلاعب وزرائها، عبر العماد الأصفهاني عن استبشار الأمة

الإسلامية، ونظرتها إلى تلك الخطوة على أنها خطوة متقدمة نحو الوحدة الإسلامية، فراح يبت تلك الرؤى والمشاعر في قصيدته التي مدح بها نجم الدين أيوب (توفي سنة ٥٦٨هـ)، في آخر شوال سنة (٥٦٢هـ)، ومطلعها^(١٠):

يَوْمَ النَّوَى لَيْسَ مِنْ عُمْرِي بِمَحْسُوبٍ وَلَا الْفِرَاقُ إِلَى عِيسَى بِمَنْسُوبٍ

وفيها يتوسم الشاعر الخير لأمته الإسلامية، ويتوقع انبثاقه من تلك الخطوة، ويرجو أن يعقبها النصر الذي وعد الله تعالى به المؤمنين، لأن القائدين الفذين: أسد الدين، وصلاح الدين، قد اعتصما بحبل الله تعالى، ونذرا نفسيهما لمقارعة الكفر، والفساد، والطغيان.

فيقول العماد الأصفهاني :

أَخُوكَ وَأَبْنُكَ صِدْقًا مِنْهَا اِغْتَصَمَا بِاللَّهِ، وَالنَّصْرُ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
هُمَا هُمَامَانِ فِي يَوْمِي وَعَمِّي وَقُرِّي تَعَوُّدًا ضَرْبَ هَامٍ أَوْ عِرَاقِيبٍ
غَدَاً يَشْبَانُ فِي الْكُفَّارِ نَارٌ وَعَمِّي بَلْفَحْهَا يُصْبِحُ الشَّبَّانُ كَالشَّيْبِ
بِمُلْكٍ مِصْرَ، وَنَصْرٍ الْمُؤْمِنِينَ غَدَاً تَحْطِيْ النُّفُوسُ بِتَانِيسٍ وَتَطْيِبُ

وحين تحقق إنقاذ مصر من غدر وزيرها شاور، وتسلم أسد الدين (شيكوه) مقاليد الوزارة في مصر، توقع المسلمون أن يضع نصب عينيه، وأن يجعل همه، تبني قضيتهم الرئيسية، ألا وهي طرد المحتلين الصليبيين، وتطهير الأرض الإسلامية من دنسهم، ورأوا في تلك الخطوة بشيراً بالنصر على المعتدين، ودحرهم، وتمهيداً لاسترجاع القدس والعودة بها إلى حظيرة الإسلام، فقال العماد الأصفهاني، مستشعراً تلك الآمال^(١١):

بِالْجِدِّ اذْرَكْتَ مَا اذْرَكْتَ لَا اللَّعِبِ كَمْ رَاحَةٍ جُنَيْتَ مِنْ دَوْحَةِ التَّعَبِ
فَتَحْتَ مِصْرَ وَأَرْجُو أَنْ تَصِيرَ بِهَا مُبَسَّرًا فَتَحَ بَيْتَ الْقُدْسِ عَنْ كَثَبِ
قَدْ أَمَكَنْتَ أَسَدَ الدِّينِ الْفَرِيسَةَ مِنْ فَتَحَ الْبِلَادِ، فَبَادِرْ نَحْوَهَا وَثِبِ

ويرفع العماد الأصفهاني أكف الشكر لله تعالى على أن قيض للمسلمين حاكماً غيوراً على أمته، حريصاً على تحقيق آمالها، يثير بجهاده الذعر والفرع في صفوف الفرنجة المعتدين قائلاً:

لَقَدْ رَفَعْنَا إِلَى الرَّحْمَنِ أَيْدِيَنَا
شُكْرًا إِلَيْكَ بَنُو الْإِسْلَامِ يُتَمَهُمُ
فِي كُلِّ دَارٍ مِنَ الْإِفْرَنْجِ نَادِبَةٌ
مَنْ شَرٌّ شَاوَرَ انْقَذَتْ الْعِبَادَ فَكَمْ
فِي شُكْرِنَا مَا بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْكَ حُبِي
فَقُمْتَ فِيهِمْ مَقَامَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ
بِمَا دَهَاهُمْ فَقَدْ بَاتُوا عَلَى نَذَبِ
وَكَمْ قَضَيْتَ لِحَزْبِ اللَّهِ مِنْ أَرْبِ

وحينما سقطت الخلافة الفاطمية عبر شعراء الجهاد ضد الصليبيين عن مشاعر
الابتهاج بانقضاء عهدها ، فشبه الشعراء العهد الفاطمي المنقرض بعهد الفراعنة ،
واستبشروا ببداية عهد جديد يشهد توحيد الأقطار الإسلامية تحت راية الخلافة
الإسلامية السنية ، وانتهاء عهد الازدواجية في قيادة العالم الإسلامي التي أدت إلى
التفريط في مقدسات المسلمين وديارهم ، وحلول الكوارث بهم ، ومزجوا ذلك بمشاعر
التشفي والشهامة بالفاطميين . ومن ذلك قول العماد الأصفهاني^(١٢) :

تُوْفِّي الْعَاظِدُ الدَّعْيُ فَمَا
وَعَصْرُ فَرَعُونَهَا انْقَضَى وَغَدَا
وَانْطَفَأَتْ جَمْرَةُ الْغَوَاةِ وَقَدْ
وَبَاتَ دَاعِي التَّوْحِيدِ مُتَّصِرًا
وَعَادَ بِالْمُسْتَضِيءِ مُتَّهَدًا
وَاسْتَبَشَرَتْ أَوْجُهُ الْهَدَى قَرَحًا
يَفْتَحُ ذُو بَذْعَةٍ بِمَصْرَ فَمَا
يُوسِفُهَا فِي الْأُمُورِ مُحْتَكِمًا
بَاخٌ مِنَ الشَّرِكِ كُلِّ مَا اضْطَرَمَّا
وَمِنْ دَعَاةِ الْإِشْرَاكِ مُنْتَقِمًا
بِنَاءٍ حَقٌّ قَدْ كَانَ مُنْهَدِمًا
فَلْيَقْرَعِ الْكُفْرَ سِنَّهُ نَذَمًا

وبعد موت العاضد الفاطمي آخر الخلفاء الفاطميين ، وعودة مصر إلى حظيرة الخلافة
العباسية ، أعلن الشاعر عرقلة الكلبي^(١٣) (توفي سنة : ٥٦٧هـ) فرحته بتولي الأيوبيين
من آل شاذي مقاليد الأمور في مصر ، فقال مستبشراً بولادة عهد جديد^(١٤) :

أَصْبَحَ الْمُلْكُ بَعْدَ آلِ عَلِيٍّ
وَعَدَا الشَّرْقُ يَحْسُدُ الْغَرْبَ لِلْقُوَى
مَا حَوَّوْهَا إِلَّا بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ
مُشْرِقًا بِالْمُلُوكِ مِنْ آلِ شَاذِي
م ، وَمَصْرُ تَزْهُوٍ عَلَى بَغْدَادِ
وَصَلِيلِ الْفُولَادِ فِي الْفُولَادِ

المحور الثاني : الكوارث الطبيعية

وتمثل في تفسير الكوارث الطبيعية بما يناسب الآمال الإسلامية ، بهدف رفع

الروح المعنوية عند المسلمين، وتعزيز ثقتهم بعدالة قضيتهم وقديسيتها، وتوخيا لتعميق إحساسهم بصحة مواقفهم، مما يدفع بهم إلى مواصلة جهادهم حتى تتحقق أهدافهم. ومن أجود الأمثلة على ذلك القصيدة التي أرسلها الملك الصالح طلائع بن رزيك إلى صديقه الشاعر أسامة بن منقذ، يعزيه في أهله الذين أتى عليهم الزلزال الذي ضرب الشام سنة (٥٥٢هـ) (١٥)، ومطلعها (١٦):

بأبي شخصُك الذي لا يغيبُ عن عَيَانِي وهو البعيدُ القريبُ

وبعد هذا المطلع الذي يفيض بالودّ والشوق لأسامة، يهتئ طلائع الجوّ العام للفكرة التي يريد أن يثبّتها من خلال الوصف، ألا وهي فكرة التحريض والحث على الجهاد، فيقول مفسراً حادثة الزلزال بما يتلاءم مع هذه الفكرة :

كَرَّ الشَّامُ أَهْلَهُ فَهُوَ مُحَقُّو قُ بَأْلاً يُقِيمُ فِيهِ لَبِيبُ
إِنْ تَجَلَّتْ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلاً خَلَفَتْهَا زَلَازِلُ وَخُطُوبُ

ثم يأخذ طلائع في وصف الزلزال وصفاً يفيض بالحركة والحيوية، والطاقة التعبيرية والتصويرية، فإذا الأرض ترقص، والرعْد يغني والريح تزمزج والجدران تتثنى طرباً، والأعاصير تزجرج، وتداهم النَّاس وهم غارقون في النوم :

رَقَصَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةَ غَنَى الرَّ عُدَّ فِي الْجَوِّ وَالْكَرِيمُ طُرُوبُ
وَتَشَنَّتْ حَيْطَانُهُ فَأَمَالَتْ هَا شَمَالُ بَزْمَرِهَا وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبٌ لِنَائِمٍ مِنْ أَمَانِي هـ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ

ويمضي طلائع في التعبير عن فكرته مستغلاً قدرته على التشخيص، فإذا البرق يضحك شامتاً في وجه الجو المكفهر الملبد بالغيوم، غير أن البرق هنا لم يأت مقدمة للمطر - كالعادة - بل كان مقدمة للزلازل والبراكين :

وَأَرَى الْبَرْقَ شَامِتاً ضَاحِكاً السَّ نْ وَلِلْجَوِّ بِالْغُيُومِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَذُوبٌ لَهُ السُّخْرُ بْ فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضاً تَذُوبُ
أَبْذَنْبٍ أَصَابَهَا قَدْرُ الدَّ هـ؟ فَلِلْأَرْضِ كَالْأَنَامِ ذُنُوبُ

وقد ينبىء هذا الوصف أن طلائع ينظر إلى مأساة الزلزال نظرة ابتهاج قد تعبر عنها تلك الصور التي أظهرت الزلزال كأنها هو احتفال عام : الأرض فيه ترقص ، والرعد يغني ، والحيطان تتمايل ، والرياح ترمز ، وذلك كله قد يوحي بأن الشاعر ذو مشاعر شاذة ، دفعته إلى الشماتة بما أصاب الشام من نكبات ، ولكن ذلك الوهم سرعان ما يتبدد إذا ما أدركنا أن الشاعر يرمي من وراء ذلك إلى تنبيه المسلمين من غفلتهم ، فيتخذ من وصف الزلزال وسيلة لحثهم على أن يتناسوا خلافاتهم ، ويوحدوا صفوفهم ، ويهتوا لدرحر عدوهم ، واستنقاذ المسجد الأقصى ، مسرى نبيهم ، وقبلتهم الأولى ، وثالث المساجد التي لا تشد إلا إليها الرحال في الإسلام ، المسجد الذي استباح المحتلون حرمة ، وانتهكوا حماه ، فاقتربوا في ساحته المحرمات ، وأتوا المنكرات ، ودنسوه بالنجاسات ، وفعلوا ذلك كله باسم المسيح عليه السلام ، وهو دون شك - براء منهم ، ومن أفعاله القذرة ، وما نسبوه إليه حين زعموا أنه قد صلب على خشبة سموها الصليب ، وعبدوها من دون الله تعالى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (٢٧) :

وهكذا فسر الشاعر حادثة الزلزال تفسيراً يتناسب مع آمال المسلمين ، ويتلاءم مع طموحاتهم وتطلعاتهم ، فقال :

رَمِيْ مِنْهَا الْمُخْطِي وَمِنْهَا الْمُصِيبُ	إِنَّ ظَنِّي وَالظَّنُّ مِثْلُ سِهَامِ الْ
س ، وما للإسلام فيها نصيب	أَنَّ هَذَا لِأَن غَدَتْ سَاحَةُ الْقَدِّ
ه فهو المحجوج والمحجوب	مَنْزَلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعْثِ رَسُولِ الدِّ
ر ، وبارئ الناقوس فيه الصليب	نَزَلَتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخَمُّ
زَعَمُوا أَنَّهُ لَهُ مَنْسُوبُ	لَوْ رَأَاهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فَعَلًا
س قوم إلههم مصلوب	أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّ النَّا

ولا يلبث الشاعر أن يكشف عن حقيقة مشاعره ، فيقول متفجعاً على ما حل بالشام من دمار أدى إلى خمود الحياة فيه ، وإقفار ساحاته بعد أن كان الغريب يحلها فتنسيه مراتع صباه ، ومدارج طفولته :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارٍ مِنَ السُّكِّ إِنْ أَقْوَتْ فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبُ

وَلَكُمْ حَلَّهَا فَأَنْسَتْهُ أَظْطَا نَ صِبَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا غَرِيبُ

وهنا يتبدد أي إحساس يمكن أن يخامر القارئ بشماتة طلائع أو تشفيه بما حل بالشام من نكبات .

ومما يؤكد أن الشاعر قد استغل وصف الزلزال لتحريض المسلمين على دحر المعتدين ، أنه ختم القصيدة ببيت يؤكد صراحة هذا الهدف ، فقال :

وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِعْلِ وَالْقَوِ لَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبُ

وفي الثاني عشر من شوال سنة (٥٦٥هـ)^(٦٨) هزت الشام زلزلة عظيمة امتدت إلى الموصل والجزيرة وجميع العراق ، قال العماد^(٦٩) «وما سكنت النفوس من رعبها ، وتسلت القلوب من كربها ، إلا بما دهم الكفار من أمرها ، وعراهم من ضررها ، فلقد خصتهم بالأمض الأشق ، وأخذتهم الرجفة بالحق ، فإنها وافقت يوم عيدهم ، وهم في الكنائس ، فأصبحوا للردى فرائس ، شاخصة أبصارهم ينظرون ، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٧٠) .

وواضح من هذا النقل أن العماد يعبر عن إحساسه بأن ما أصاب الصليبيين من الدمار قد أدى إلى تهوين شأن الزلزال لدى المسلمين ، وقد وضع العماد هذه المشاعر ضمن إطار إسلامي عززه بالاعتباس .

ومما يؤكد عمق هذه المشاعر أن العماد عبر عنها شعراً كما عبر عنها نثراً . ففي قصيدته التي مدح بها نور الدين عقب هذه الزلزلة تطرّق إلى ما أصاب الفرنجة فقال^(٧١) :

جَلَّ رِزُّ الْفِرَنْجِ فَاسْتَبَدُّوا مِنْ	لَهُ بَلْبَسَ الْحَدِيدِ لِبَسَ الْحِدَادِ
فَرَّقَ الرَّعْبُ مِنْهُ فِي أَنْفُسِ الْكُفَا	رَ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ
سَطْوَةُ زَلْزَلَتِ بِسُكَّانِهَا الْأَرْضَ	ضَ وَهَدَّتْ قَوَاعِدَ الْأَطْوَادِ
خَفَضَتْ مِنْ قَلَاعِهَا كُلَّ عَالٍ	وَأَعَادَتْ تَلَاعَهَا كَالْوَهَادِ
أَنْفَذَ اللَّهُ حُكْمَهُ فَهُوَ مَاضٍ	مُظْهِرٌ سَرَّ غَيْبَةٍ فَهُوَ بَادٍ
آيَةُ آثَرَتْ ذَوِي الشَّرِكِ بِالْهَلْكِ	وَأَهْلَ التَّوْحِيدِ بِالْإِشْرَادِ
وَالْأَعَادِي جَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ التَّدْ	مِيرِ مَا قَدْ جَرَى عَلَى قَوْمِ عَادٍ

أَشْرَكَتْ فِي الْهَلَاكِ بَيْنَ الْفَرِيقِ بَيْنَ دَعَاةِ الْإِشْرَاكِ وَالْإِلْحَادِ
وَالْإِلَهُ الرَّؤُوفُ فِي الشَّامِ عَنَّا دَافَعُ لَطْفُهُ بِلَاءَ الْبِلَادِ
وَبِحَقِّ أَصِيبَتِ الْأَرْضِ لَمَّا اشْتَكَّتْ مِنْ مَقَامِ أَهْلِ الْفَسَادِ

وهو يرى أن تلك الزلازل عقاب موجه من الله تعالى للصليبيين فحسب، ذلك لأنهم انحرفوا عن منهج الله، وجاروا عن القصد، واستكبروا وتجبروا، وعاثوا فساداً، وبطشوا، فأتاهم الانتقام الإلهي، شأنهم شأن قوم عاد وثمود وغيرهم من الأمم البائدة.

وهكذا وضع شعراء الجهاد ضد الصليبيين على عاتقهم بث الأمل في نفوس أبناء أمتهم في أوقات الشدة، والحيلولة دون تسرب اليأس إليها، فأضأوا شموع الأمل في ليل الأمة الدامس، وحاولوا من خلال الفكرة المضئية، والنظرة المتفائلة، أن ينهضوا بالأمة من كبوتها، وأن يقلوها من عثرتها.

وقد حقق شعراء الجهاد ضد الصليبيين ذلك الهدف من خلال قناتين رئيسيتين :

أولاهما : الأحداث السياسية التي انتهت بتوحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنية، بتضافر جهود: نورالدين محمود، وأسد الدين (شركوه) وصلاح الدين يوسف بن أيوب القائد الفذ الذي تمت على يديه آخر خطوات الوحدة. ولعل أهم الأحداث التي استغلها شعراء الجهاد لبث الاستبشار في نفوس أبناء الأمة الإسلامية هي :

١ - توجه أسد الدين وصلاح الدين إلى مصر، لإنقاذها من تلاعب الوزيرين شاور وضرغام في مصرها.

٢ - تسلم شركوه، ثم صلاح الدين زمام الوزارة في مصر.

٣ - وفاة الخليفة العاضد الفاطمي، وعودة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية.

وثانيهما : الكوارث الطبيعية، التي حرص شعراء الجهاد على تفسيرها، وتوجيهها بما يناسب الآمال والتطلعات الإسلامية.

ولعل أهم تلك الكوارث زلزال سنة ٥٥٢هـ وزلزال سنة ٥٦٥هـ اللذين ضربا الشام ودمرا كثيراً من مدنه .

المظهر الثالث : النظرة الشمولية

ومن مظاهر الوعي عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين النظرة الشمولية إلى الحروب الصليبية . ونعني بها حرص شعراء الجهاد على تعميق الإحساس بوحدة الأرض الإسلامية عن طريق ربط المدن المحتلة والمحرة بتلك التي تقع بعيداً عن مجال المعارك . ولا شك أن شعراء الجهاد قد صدروا في ذلك عن إيمان بوحدة العالم الإسلامي أرضاً ، وإنساناً ، وحاضراً وماضياً ، ومصيراً . فالأرض في رؤيتهم الشاملة إما أن تكون ديار إسلام أو ديار كفر .

وانطلاقاً من هذه الرؤية عبر شعراء الجهاد عن فرحة العالم الإسلامي وبهجته عند تحرير إحدى المدن الإسلامية المحتلة . وركزوا في قصائد البشائر والتهاني على عمومية الفرح ، وأن البهجة لا تخص قطراً بعينه ، بل تعم الأقطار الإسلامية جمعاء .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الربط كان أعمق ، وأوثق وأكثر تفجيراً ، للوعي والشعور الإسلاميين عندما كان يدور حول محور : مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والقدس الشريف ، لما لهذه الأماكن المقدسة من خصوصية في وجدان المسلم ، وروحه ، وفكره ، وضميره .

فعندما حطّم صلاح الدين أغلال الاحتلال الصليبي عن القدس ، سنة (٥٨٣هـ) كان مبعث النشوة والبهجة اللتين عبر عنهما العماد الأصفهاني هو التثام شمل الأماكن المقدسة الإسلامية ، وانتظام القدس الشريف ، بثا فيه من مقدّسات في سلك المشاعر المقدسة التي ترفرف عليها راية التوحيد ، حيث قال من قصيدة بائية له (٧٢) :

ففي موافقة البيت المقدس للـ بيت الحرام لنا تية وإعجاب
والصخر والحجر المثلوم جانبُهُ كلاهُما لا عتار الخلق محرابُ

ويعد أبو الحسن الساعاتي^(٧٣) (المتوفى سنة ٦٠٤هـ) إنقاذ القدس إحساناً للبيت الحرام ، وبراً بمدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فيقول^(٧٤) :

أَحْسَنْتَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَيَشْرَبُ وَلَكَ الْفَعَالُ كَثِيرَةٌ حَسَنَاتُهُ

ويربط ابن الساعاتي بين المساجد التي تشد إليها الرحال في الإسلام : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، برباط من الفرح والبهجة في عرس تحرير القدس من الاحتلال الصليبي ، فيتمنى - في قصيدة أخرى - أن يشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاتحها الأول ، فتحها الثاني ، على يدي صلاح الدين يوسف ، قائلاً^(٧٥) :

حَيَا مَكَّةَ الْحُسْنَى ، وَثَنِّي بِيشْرَبِ وَأَطْرَبَ ذِيكَ الضَّرِيحَ وَمَا ضَمًّا
فَلَيْتَ فَتَى الْخُطَابِ شَاهَدَ فَتَحَهَا فَيَشْهَدُ أَنَّ السُّهْمَ مِنْ يَوْسُفٍ أَصْمَى

وتعانق الصخرة المشرفة الحجر الأسود في حبور وابتهاج ، بعد أن أعاد الفاتح الثاني صلاح الدين يوسف ، سيرة الفاتح الأول الفاروق رضي الله عنه ، فاستحق أن يكون شريكه في الأجر والثواب ، وفي شرف استعادة المقدسات إلى حوزة الإسلام وإلى ذلك يشير فتیان الشاغوري^(٧٦) (المتوفى سنة ٦١٥هـ) في قصيدته الرائية ، حيث يقول^(٧٧) :

وَأَعَدْتُ مَا أَبْدَاهُ قَبْلَكَ فَاتِحًا عَمَرَ ، فَأَنْتَ شَرِيكُهُ فِي الْمُنْتَجِرِ
حَتَّى جُمِعَتْ لِمَعْشَرِ الْإِسْلَامِ بِي مِنَ الصَّخْرَةِ الْعِظَمَى ، وَبَيْنَ الْمَشْعَرِ
فَلِصَّخْرَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ كُفُّوْهَا الـ حَجَرُ الْمُفْضَلِ عِنْدَ أَفْضَلِ مَعْشَرِ

غير أن ذلك لم يكن مقصوداً على القدس فتحرير أي جزء من الأرض الإسلامية وإنقاذ أية مدينة من احتلال الصليبيين ، وإعادتها إلى حظيرة الإسلام ، كان يشيع البهجة والرضا في النفوس المسلمة ؛ لأن كل مكان من ديار المسلمين له ارتباط وثيق بمهبط الوحي ، ومسرى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وجميع المشاعر المقدسة . وقد صدر عن هذا الوعي أبو الحسن بن الساعاتي عندما هنا السلطان صلاح الدين بفتح مدينة طبرية^(٧٨) ، فقال^(٧٩) :

تَهَزُّ مَعَاظِفَ الْقُدْسِ ابْتِهَاجًا وَتُرْضِي عَنْكَ مَكَّةَ وَالْحُجُونََا
فَلَوْ أَنَّ الْجِهَادَ يُطِيقُ نَطْقًا لِنَادَتْكَ : ادْخُلُوهَا آمِنِينََا

وانتزع دمياط^(٨٠) من قبضة الفرنج من شأنه أن يثلج صدور المسلمين في كل مكان من ديار الإسلام، سواء أكان في مصر أم في العراق، أم في الجزيرة العربية، أم في سواها، والتهنئة بفك أغلال دمياط تزف إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، لتضمخ الضريح النبوي الطاهر بالفرح والبهجة، وفي ذلك يقول بهاء الدين زهير في قصيدته الرائية التي هنا بها الملك الكامل الأيوبي سنة (٦١٨هـ)^(٨١):

فَمَنْ مَبْلَغُ ذَاكَ الْهَنَاءِ لِمَكَّةَ وَيُثْرَبُ تُنْهِيه إِلَى صَاحِبِ الْقَبْرِ
فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ إِنْ سَمِيَهُ حَمَى بِيضَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ نُوبِ الدَّهْرِ

ويقول من القصيدة نفسها :

وَمَا فَرَحْتَ مِصْرُ بِذَا الْفَتْحِ وَحَدَّهَا لَقَدْ فَرَحْتَ بَغْدَادُ أَكْثَرَ مِنْ مِصْرٍ
فَلَوْ لَمْ يَقُمْ فِي اللَّهِ حَقُّ قِيَامِهِ لَمَا سَلِمَتْ دَارُ السَّلَامِ مِنَ الذُّعْرِ
وَأَقْسَمُ لَوْلَا هِمَّةُ كَامِلِيَّةَ لَخَافَتْ رِجَالُ بِالْمَقَامِ وَبِالْحِجْرِ

وإذا كان تحرير المدن الإسلامية المحتلة من أسر الصليبيين من شأنه أن يبث البهجة والفرح في أقطار العالم الإسلامي، ومدنه، فهذه تتشي، وتلك تحتال وتتبختر، وثالثة تهز أعطافها فرحاً، فإن سقوط إحدى المدن الإسلامية في قبضة الفرنجة يثير مشاعر مناقضة في نفوس المسلمين، ويجلج بالحزن والأسى ديار الإسلام. ويتضاعف الإحساس بعمق المأساة، وهول الحدث، عندما يكون الأمر متعلقاً بمسرى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وقبله المسلمين الأولى.

لقد سقطت القدس في أيدي الصليبيين المحتلين بعد تطهيرها على يد صلاح الدين، وبعد أن بذل المسلمون في سبيل استنقاذها دماء غالية، وتضحيات عظيمة، نتيجة لتفريط قصار النظر، والمتخاذلين من الحكام الذين تولوا الحكم بعد صلاح الدين. لقد استهان أولئك الحكام بتضحيات أسلافهم وجهودهم، وأهدروا طاقات الأمة الإسلامية التي بذلت في سبيل تحرير القدس، والدماء الإسلامية التي سفحت في سبيل تطهيرها.

وعندما خرب المعظم عيسى أبراج القدس في المحرم سنة (٦١٦هـ) خوفاً من

استيلاء الصليبيين عليها، وقع ذلك على نفوس المسلمين وقوع الصاعقة فتلقوه بالحزن والسخط معاً، وأكثر الشعراء من التشنيع على المعظم، والبكاء على ما حل بذلك البلد الشريف .

لقد كان السخط على ما حل بالقدس عظيماً وعاماً شاملاً، شمل الإنسان المسلم، والرموز الإسلامية، ومظاهر الحضارة، ومظاهر الطبيعة، والمدن الإسلامية شقيقات القدس .

ولعل خير ما يمثل ذلك قصيدة خطيب المسجد الأقصى القرqsاني^(٨٢)، التي يستهلها ببيان أثر ما اقترفه المعظم في نفوس أبناء القدس، ولا سيما قاضيهما وخطيبه، فيقول^(٨٣):

مُصَابُ الْقُدْسِ قَدْ سَلَبَ الرُّقَادَا وَقَدْ لَبَسَ الْخَطِيبُ بِهِ جِدَادَا
وَقَاضِيهِ قَضَىٰ نَحْبًا وَإِنْ لَمْ يَمُتْ ، لَخَرَابٍ مَا أَعْلَىٰ وَشَادَا

ويصور الشاعر الأماكن المقدسة والعالم البارزة، في القدس وقد اعترتها الدهول، وجللها الحزن، فإذا المسجد الأقصى يرفع عقيرته ناعياً مستنكراً، ومنبره يصرخ خائفاً، ومحرايه تتهاوى جنباته، والصخرة المشرفة تذرف الدموع السواجم، ومحراب داود^(٨٤) تحيم عليه الكآبة، وباب الرحمة^(٨٥) مكتوبينيران العذاب، فيقول:

وَنَادَى الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى: أَيْرْضَى بِهَذَا الْفَعْلِ مَنْ فَرَضَ الْجِهَادَا؟
وَمِنْبَرُهُ الشَّرِيفُ يَثْنُ خَوْفًا وَمَا حُلَّ بِالْمَحْرَابِ مَاذَا
وَلَا تَرْقَى لَصَخْرَتِهِ دُمُوعٌ فَكَمْ قَدْ أَفْرَحَتْ أَسْفًا فُؤَادَا
كَذَا مُحْرَابُ دَاوُدَ عَلَتْهُ الدَّ كَآبَةُ، دَمْعُهُ مَجْلِي الْعِهَادَا
وَلَا زَمَ بَابَ رَحْمَتِهِ عَذَابٌ وَسَحَّ الطُّورُ أَدْمَعُهُ وَحَادَا

ولا يكفي الشاعر بإشراك المعالم البارزة والأماكن المقدسة في الإنكار على المعظم ما فرط فيه من أمر القدس، بل يجعل مظاهر الطبيعة من حول القدس تشارك في إعلان النكير عليه، فجبل الطور^(٨٦) يرسل الدمع هتاناً بسبب تلك النكبة (الشطرن الثاني من البيت الأخير في الأبيات السابقة) وعين سلوان^(٨٧) لا ينقضي حزنها خوفاً على من فارقوها من أبنائها من مصيرهم المظلم، يقول القرqsاني:

وما عَنْ عَيْنِ سُلُوَانٍ سُلُوْ لِسَاكِنِهِ وَلَوْ مَلَكَ الْبِلَادَا
أما معاهد العلم فتنتحب معلنة عن رفضها لما قام به المعظم، وتريق محابرها،
وتكسر أقلامها، احتجاجاً على تلك الخطوة المتخاذلة:

وأصبحت المدارس معولاتٍ تريقُ محابرَ الفِثْيَا المِدادَا
وأما شقيقتنا القدس: مكة المكرمة، ومدينة خليل الرحمن فقد اكتوتا بنار تلك
المصيبة، التي حلت بأختيهما القدس، فبكت مكة بكاءً الثاقل، وأعلنت الحداد،
وارتعد قلب الخليل خوفاً وخشية مما يمكن أن يحل بها، بعد أن خُلِّيَ بين المحتلين وبين
أختها الكبرى القدس:

وَبَيْتُ خَلِيلِهِ وَجِلٌّ لِمَا قَدْ أَصَابَ سِوَاهُ يَرْتَعِدُ ارْتِعَادَا
فمكةٌ تاكلُ عَبْرَى فَلَمَّا أَلَمَ بِأَخْتِهَا لَبِسَتْ سَوَادَا
وهكذا تشارك مظاهر الطبيعة من جبال وعيون، ومعالم الحضارة من مدارس
ومعاهد، في ماتم القدس، كما تشارك القدس أحزانها أخواتها في العقيدة، والمصير،
مكة المكرمة، ومدينة الخليل.

وإذا كانت الرموز الإسلامية في القدس، وفي سائر البلدان الإسلامية، قد اكتوت
بنار الحزن، وتجللت بالسواد، فإن الرموز النصرانية قد لبس أزهى زيتها، وتباهت
في أجمل حللها، واجتمع النصارى حول كنيسة القيامة يتبادلون التهاني ابتهاجاً
بالخطوة التي تجرأ المعظم على اتخاذها، وإعلاناً للرضا عنها، وقد تضاعفت بهجة
القوم، لما تناهى إليهم من أنباء استيلاء جيوشهم على دمياط (سنة ٦١٦ هـ)، فتعالت
الضحكات، وعم الحبور كنائسهم وأديرتهم. يقول القرقيساني:

وَعِنْدَ قِيَامَةِ^(٨٨) الْيَوْمِ الْتَهَانِي تَتِيهُ كَكَاعِبَ جَاءَتْ تَهَادِي
إِذَا سَمِعْتُ بِدُمِيَاظٍ وَمَا قَدْ أُشِيعَ تَقُولُ : بُلُغْتُ الْمُرَادَا
وَلَكِنَّ الْكِنَائِسَ ضَاحِكَاتٍ تَعَالَى اللَّهُ يَفْعَلُ مَا أَرَادَا

ويختم الشاعر قصيدته الباكية بالتعبير عن الاستهانة بكل خطب بعد خراب
القدس:

أبعد خراب بيتِ القدس خطبُ أشدُ ، ولو توسدنا القَتَادُ
على الدُّنْيَا وما فيها عَفَاءٌ ولو نلنا بها السَّبْعَ الشَّدَادُ

وهكذا، فجّر تخريب القدس بيد حاكمها المسلم مشاعر القرقساني فجاءت قصيدته مجللة بالحزن، ومفعمة بالسخط، وإن لم تستطع هذه المشاعر المتشائمة أن تخفي وعي الشاعر الراسخ بوحدة الأرض الإسلامية، ووحدة الهم الإسلامي، ووحدة الألم الإسلامي.

ومن معالم النظرة الشمولية عند شعراء الجهاد ضدّ الصليبيين: ذوبان القوميات والعرقيات، والإقليميات في بوتقة الوحدة الإسلامية، وانصهارها انصهاراً انتفت معه العصبيات من أي نوع كانت، انطلاقاً من الفهم الإسلامي الصحيح للأخوة الإسلامية التي حلت في الحياة محل أخوة الدم والنسب، وتطبيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٨٩) وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ»^(٩٠).

وقد صدر العمد الأصفهاني عن هذا الوعي في قصيدته التي قالها عندما لقي نور الدين محمود الفرنج في حوران فهزمهم سنة (٥٦٨هـ) ومطلعها^(٩١):

عُقِدَتْ بِنَصْرِكَ رَايَةُ الْإِيمَانِ وَبَدَتْ لِعَصْرِكَ آيَةُ الْإِحْسَانِ

وفيها يؤكد الشاعر الوحدة الإسلامية من خلال ذكر الأجناس الإسلامية التي انضوت تحت راية الإيمان، راية الملك العادل المجاهد نور الدين محمود، فإذا الكردي، والتركي، والعربي، والفارسي، والعراقي، والشامي، والمصري، والجزائري، يقفون صفّاً واحداً متراصاً، موحد الهدف، والتوجه، أمام المحتل الصليبي، فيقول:

وَكأنَّما الأكرادُ فوقَ جِبايِها عِقْبَانُ مَلَحَمَةٍ على عِقْبَانِ
وَلطالما مَهَرَتْ على نَصْرِ الهُدَى أَنْصارُكَ الأبطالُ من مَهْرانِ
لم يتركِ الأتراكُ فيهم غاية بالفَتْكِ، والإرهاقِ، والإِثْخانِ
من كلِّ رامٍ، سَهْمُهُ من وَهْمِهِ أَهْدَى إلى إنسانٍ عَيْنِ الرّائي

وَلَكَ الْمَالِكُ الَّذِينَ عَنَتَ بِهِمْ أَقْلَاكَ مَصْرَ لِمَالِكِي بَغْدَانِ
فَمِنْ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ إِلَى ذُرَا مَصْرَ إِلَى قَوْصٍ إِلَى أَسْوَانِ
لَمْ تَلُهُ عَنْ بَاقِي الْبِلَادِ وَإِنَّمَا أَهْلَاكَ فَرَضَ الْغَزْوِ عَنْ هَمْدَانِ
لِلرُّومِ وَالْإِفْرَنْجِ مِنْكَ مَصَائِبُ بِالْتَرِكِ، وَالْأَكْرَادِ، وَالْعُرْبَانِ

ومما أضفى على هذه الوحدة طابعاً إيمانياً، وصبغها صبغة إسلامية، أن العماد حرص فيها على الربط بين الجيش الإسلامي الذي يتألف من هذه الأجناس، وبين الجيش النبوي الذي حارب الكفر والشرك تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر، حيث تمثلت فيه الوحدة الإسلامية بأسمى قيمها ومعانيها. ولكي يبرز الشاعر أهمية الجانب الإعلامي في المعركة ضد الصليبيين، ودور الكلمة المقاتلة فيها عرج على حسان بن ثابت رضي الله عنه، بوصفه رائداً ورمزاً لذلك، فقال:

هُمْ كَالصَّحَابَةِ يَوْمَ بَدْرٍ حَاوَلُوا نَصَرَ النَّبِيِّ وَنَبَتْ عَنْ حَسَّانِ

وأدى تفاقم الخلاف بين أبناء الملك العادل أبي بكر بن أيوب، إلى تسليم القدس للإمبراطور فردريك الثاني^(٩٢)، سنة (٦٢٦هـ)، وبعث الملك الكامل من نادى في القدس بخروج المسلمين منها، وتسليمها إلى الفرنج، فضج الناس وبكوا، وعظم ذلك عليهم، وأنكروا على الملك الكامل ذلك الفعل، وشنعوا عليه، وجلس الحافظ سبط ابن الجوزي^(٩٣) توفي (سنة ٦٥٤هـ) في المسجد الأموي، وذكر فضائل بيت المقدس، وما جرى له^(٩٤)، وكان مما قال^(٩٥): «انقطعت عن بيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشة المجاورين، كم كان لهم في تلك الأماكن من ركعة، وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمة. تالله لو صارت عيونهم عيوناً لما وفّت: ولو تقطعت قلوبهم أسفاً لما شفت، أحسن الله عزاء المؤمنين، يا خجلة ملوك المسلمين...».

وأنشد مرثية أبي يوسف شهاب الدين يعقوب بن المجاور^(٩٦)، التي استلهم فيها تائية دعل الخزاعي المشهورة، وعبر فيها عن وحدة الهم بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، فقال^(٩٧):

لَتَبْكِ عَلَى الْقُدْسِ الْبِلَادُ بِأَسْرَهَا وَتَعْلُنُ بِالْأَحْزَانِ وَالتُّرَحَاتِ
لَتَبْكِ عَلَيْهَا مَكَّةُ فَهِيَ أُخْتُهَا وَتَشْكُو الَّذِي لَاقَتْ إِلَى عَرَفَاتِ

لتبكِ على ما حلَّ بالقدسِ طَيِّبَةً وَتَشْرَحُهُ في أكرمِ العُرُفَاتِ

يتبين من هذا العرض أن وعي شعراء الجهاد ضد الصليبيين قد تجسد من خلال هذه النظرة الشاملة إلى الأرض الإسلامية، وإلى الإنسان المسلم، نظرة توحد ولا تفرق، تجمع ولا تبدد.

ومن معالم هذه النظرة عندهم، حرص شعراء الجهاد على تعميق الإحساس بوحدة الأرض الإسلامية، ووحدة الهم الإسلامي ووحدة الفرح الإسلامي، والتركيز على قوة الروابط بين البلدان الإسلامية والمقدسات الإسلامية، وبخاصة مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف.

وفي تلك المعالم ذوبان العرقيات، والقوميات والإقليميات، وانصهار جميع الأجناس في بوتقة الوحدة الإسلامية.

المظهر الرابع :

استلهم القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وجهاد الصحابة رضي الله عنهم :
ومن مظاهر الوعي عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين حرصهم على استلهم قصص الأنبياء عليهم السلام، وسيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، وجهاد الصحابة رضي الله عنهم. ويتصل بذلك ربط المعارك التي خاضتها أمتنا ضد الصليبيين بمعارك الإسلام الأولى، وكذلك ربط الصليبيين المحتلين بالأمم البائدة، والطواغيت الوارد ذكرهم في القرآن الكريم. وهو ربط ذكي له مسوغاته الفكرية، والفنية، والشعورية: ومن تلك المسوغات العمل على زيادة الالتحام بين الأمة الإسلامية وقادتها، وتعميق إحساسها بقدسية قضيتها، وتعزيز ثقتها بالنصر على أعدائها المحتلين، وترسيخ وعيها بأنها تسير على طريق الخير والحق، الطريق الذي مهدته الرسالات السماوية، وسلكه الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، وإخوانه الرسل والأنبياء الكرام، عليهم السلام، وسار عليه المجاهدون من الصحابة رضي الله عنهم، منذ بدر، وأحد، والخنديق. وتحذير إدراكها بأن المعارك التي تخوضها الأمة الإسلامية ضد الصليبيين إن هي إلا امتداد لمعارك الرسول صلى الله عليه وسلم

ضد الشرك، والوثنية، والطغيان، وأن قادتها يترسمون خطا السلف الصالح، ويسيرون على منهجهم، وأن أعداءها المحتلين إن هم إلا امتداد للشر الذي حاربه الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام، بل إن هم إلا الصورة المعاصرة لعاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، وقوم لوط، والمؤتفة، وأن نهايتهم ستكون مثل نهاية فرعون، وقارون، وجالوت، وسواهم ممن استحقوا الانتقام الإلهي: وكذلك الأمر فيما يتعلق بالخونة والمتخاذلين والمتعاونين مع المحتلين الصليبيين.

ومن الناحية الفنية فإن استحضار هذه القصص الدينية، والتاريخية الإسلامية، والاستعانة بها، وتوظيفها في التعبير عن التجارب المعاصرة، له أثر واضح في إلهاب المشاعر الإسلامية، وإبعاد الثرية، والتقديرية، والمباشرة عن شعر الجهاد، وإكسابه غلالة رمزية خفيفة، من شأنها حفز الذهن والخيال، وإضفاء مسحة من الجمال والإشراق والتأثير عليه. وسيدور الحديث في هذا المظهر حول ثلاثة محاور:

الأول : استلهام القصص القرآن الكريم .

الثاني : استلهام السيرة النبوية الشريفة .

الثالث : استلهام جهاد الصحابة رضوان الله عنهم .

المحور الأول : استلهام القصص القرآني الكريم :

وتوخياً للغايات السابقة ذأب شعراء الجهاد على ربط صورة الملك المجاهد نورالدين محمود بصورة نبي الله سليمان عليه السلام، محاولين بذلك بث الاستبشار، وغرس الثقة في نفوس المسلمين، بأن سيكون لنور الدين من سعة الملك والاستعلاء، والتمكين ما كان لسليمان عليه السلام.

وقد جمع الله تعالى في شخصية نور الدين الورع، والزهد، والإخلاص، والتقى، وغير ذلك من الفضائل التي أطنب في ذكرها المؤرخون^(١٨) مما نبه العباد الأصفهاني إلى الربط بينه وبين نبيي الله الكريمين سليمان، واليسع عليهما السلام، فقال يمدحه وهول على حصار قلعة جعبر^(١٩):

أَنْتَ سَلِيمَانُ فِي الْعَفَافِ وَفِي الدِّينِ مُلْكُكَ، وَتَحْكِيكَ بِزَهْدِكَ الْيَسَعَا
حُزْنَ الْبَقَا، وَالْحَيَاءِ، وَالْكَرَمِ الْمَحْدِ ضَرْ، وَحَسَنَ الْيَقِينِ وَالْوَرَعَا

وعندما تمكن القائدان صلاح الدين وأسَد الدين اللذان أرسلهما نورالدين إلى مصر، من القضاء على شاور السعدي الذي كان مثلاً للطغيان والتجبر، والتلاعب بمصر مصر، والتواطؤ مع الفرنجة المحتلين، استحضر العماد الأصفهاني قصة جالوت ونبي الله داود عليه السلام الواردة في القرآن الكريم^(١٠١)، فربط بين نورالدين وداود عليه السلام محاولاً أن يشيع في قلوب الأمة الإسلامية إحساساً بآس نورالدين، وسعة ملكه، وتمكينه وأنه مؤيد من الله تعالى، وأتبع ذلك بالربط بين شاور وجالوت رأس الطغيان والفساد، قائلاً^(١٠٢):

وإِنَّ مِصْرًا لَكَ تَعْنُو بَعْدَمَا لِسَيْفِكَ الْعُضْبُ عَنَا صَعِيدُهَا
وإِنَّ بَغْيَ جَالُوتِهَا ضَلَالَةٌ فَأَنْتَ فِي إِهْلَاكِه دَاوُدُهَا

وحتى الحوادث العادية حرص شعراء الجهاد على استغلالها لتعزيز ثقة الأمة بقيادتها، وربطها بأولي الصلاح، والعلم، والزهد، والتقوى من الأنبياء عليهم السلام.

ففي سنة (٥٦٠هـ) فتح نور الدين قلعة بانياس^(١٠٣)، وعاد إلى دمشق، وفي يده خاتم ياقوت، فضاع منه في شعراء^(١٠٤) بانياس، فلما علم به (أعاد بعض أصحابه في طلبه، ودهمهم على مكانه، فعادوا إليه فوجدوه، فقال ابن منير يمدحه ويهته بهذه الغزاة)^(١٠٥) وعودة خاتم الياقوت^(١٠٦):

فَلَعَوْدَةُ الْجَبَلِ الَّذِي أَضَلَّلْتُهُ بِالْأَمْسِ بَيْنَ عِنَاطِلٍ وَجِبَالٍ
مُسْتَرْجَعًا لَكَ بِالسَّعَادَةِ آيَةً رَدَّتْ مَطَالَ الْفَالِ غَيْرَ مُطَالٍ
لَمْ يُعْطَهَا إِلَّا سَلِيمَانُ، وَقَدْ نَلَّتْ الرِّقَاءَ بِمَوْشِكِ الْإِعْجَالِ

وكان لما أصابه القائد أسَد الدين (شيركوه) من توفيق، ولما حققه من غلبة على شاور السعدي والصليبيين معاً أثر في استلهام شعراء الجهاد قصة موسى عليه السلام، وما حقق الله تعالى على يديه من هلاك لفرعون وجنده فربطوا بين أسَد الدين

(شريكوه) وموسى عليه السلام، كما ربطوا بين شاور وفرعون. فقال الشاعر عرقلة الكلبي^(١٠٦):

نَصَّ عَلَى شَاوَرَ فِرْعَوْنُهَا وَنَصَّ مُوسَاهَا عَلَى شِيرْكُوهُ

وقد جاهد أسد الدين (شريكوه) الخونة المتآمرين، والفرنجة الطامعين جهاداً صادقاً، بدد شملهم، وأفشل خططهم، وأذهب ريحهم، ومزقهم شر ممزق، شأنه في ذلك شأن إبراهيم عليه السلام، عندما حطم ما كان يعبد قومه من أصنام، فقال العماد الأصفهاني مستوحياً قصة إبراهيم عليه السلام، ومستلهماً قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾^(١٠٧).

فِي نَفُوسِ الْكُفَّارِ رُغْبُكَ قَدْ جَلَّ بِصَدْعِ الْأَكْبَادِ وَالْأَفْلَادِ
لَمْ تَدْعُ بِالْظُبَا رُؤُوساً وَأَصْنَا مَا فِي الْمَشْرِكِينَ غَيْرَ جُذَاذٍ^(١٠٨)

وقد أكثر شعراء الجهاد ضد الصليبيين من استلهام قصص الأنبياء عليهم السلام، وهم يعبرون عن تصدي صلاح الدين الأيوبي للعدوان الصليبي. وأوحى التشابه الكبير بين قصة نبي الله يوسف عليه السلام، الواردة في الذكر الحكيم، وقصة صلاح الدين يوسف بن أيوب، إلى إقبال شعراء الجهاد على استلهام قصة يوسف. فدخل صلاح الدين مصر، وما تلاه من أحداث انتهت بتسلمه مقاليد الحكم فيها، ثم انطلاقه لبناء دولة الوحدة الإسلامية التي دكت كيان الصليبيين دكاً، وزلزلت وجودهم، واقتلعت جذورهم من الأرض الإسلامية، فضلاً عما بين النبي الكريم والقائد المسلم، من التطابق في الاسم، والقدوم إليها من فلسطين، وما كان في مصر قبل دخولها من فساد الأوضاع، وانتهاء ذلك كله إلى صلاح وفلاح، وما اتصف به صلاح الدين من تقى وورع، وحنكة، وعلم، وتدبير، وغير ذلك من صفات؛ كل ذلك دفع شعراء الجهاد ضد الصليبيين إلى الإكثار من استلهام قصة يوسف عليه السلام. ولا شك أن ذلك الاستلهام قد أدى إلى إثارة التفاؤل والأمل في نفوس المسلمين، ويث فيها الاستبشار بأن أمر صلاح الدين سيؤول إلى تمكين، وأن أمر دولته سينتهي إلى استقرار وازدهار مثلما آل إليه أمر مصر، إبان عهد يوسف عليه السلام.

وقد يكون هذا الاستلهام مجرد إشارات عامة إلى بعض الأحداث البارزة في قصة يوسف عليه السلام. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر عرقلة الكلبي قبل مسير صلاح الدين إلى مصر وكان صلاح الدين إذ ذاك متولي دمشق لنور الدين^(١٠٩):

رُؤَيْدُكُمْ يَا لَصُوصَ الشَّامِ فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ فِي مَقَالِي
وَأَيَّاكُمْ مِنْ سَمِيِّ النَّبِيِّ يُوسُفَ رَبِّ الْحِجَا وَالْجَمَالِ
فَذَاكَ مُقَطَّعُ أَيْدِي النَّسَا ، وَهَذَا مُقَطَّعُ أَيْدِي الرِّجَالِ

والشاعر في هذه الأبيات يتمثل قوله تعالى في سورة يوسف ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(١١٠) ، ويستبشر أن يقيم صلاح الدين العدل، ويرسي قواعد الأمن، ويقيم حدود الله، ويقطع أيدي اللصوص. وله من التوافق بين صلاح الدين ويوسف الصديق عليه السلام، في الاسم ورجاحة العقل، ووسامة الخلق ما يجعله شديد الثقة في ذلك.

وقد يجري استلهام قصة يوسف عليه السلام مجرى الدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن يملك مصر يوسف بن أيوب، كما ملكها من قبل يوسف بن يعقوب عليه السلام، كما في قول عرقلة عندما سَير نورالدين محمود قائديه أسد الدين (شيركوه) وصلاح الدين يوسف إلى مصر عام (٥٦٢هـ)^(١١١):

أَقُولُ وَالْأَتْرَاكُ قَدْ أَزْمَعَتْ مِصْرَ إِلَى حَرْبِ الْأَعَارِبِ
رَبِّ كَمَا مَلَكْتَهَا يُوسُفُ الصُّدِّ يَقُ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبِ
يَمْلِكُهَا فِي عَصْرِنَا يُوسُفُ الصَّا دِقُ مِنْ أَوْلَادِ أَيُّوبِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ ضَرَّابَ هَامِ الْعِدَا حَقًّا وَضَرَّابَ الْعِرَاقِيبِ

ويعد موت أسد الدين (شيركوه)، وتولي صلاح الدين زمام الأمور في مصر، دلت على كل المؤشرات على أن مصر مقبلة على عهد جديد، ينجم فيه الاستقرار، ويوضع له حدّ لحالة الاضطراب والفساد في الحكم التي عمت مصر أواخر العهد الفاطمي، وتنتهي فيه السنوات العجاف، التي تولى الخلافة فيها خلفاء ضعاف غدوا ألعوبة في أيدي الوزراء الطامعين في السلطة. وتبدأ مرحلة جديدة فيها يغاث الناس، تعيد

للأذهان السنوات التي تولى فيها يوسف الصديق تدبير أمور مصر، بعد أعوام القحط والضنك.

وفي ذلك يقول عمارة اليماني^(١١٣) مبرزاً أوجه الاتفاق والاختلاف بين قصة يوسف عليه السلام، والأحداث التي جرت في مصر في عهد صلاح الدين يوسف^(١١٣):

وَنُتِبَ بِمِصْرَ عَنْ سَمِيكَ يَوْسُفٍ	كَمَا نَابَ عَنْ سَكْبِ الْحَيَا وَكَفَّ سَكْبُ
حَدَوْتَ عَلَى سَجَلِي نَدَاهُ وَهَدِيهِ	وَأِنْ كُنْتَ لَا سَجْنَ حَوَاكُ وَلَا جُبُ
وَوَافَقَتْهُ فِي الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ	فَمَا مِنْكَ تَثْرِبُ، وَإِنْ عَظُمَ الْخَطْبُ

فصلاح الدين يسير على هدي يوسف الصديق عليه السلام وانتشابه بينهما قائم في الاسم، وفي التدبير، والسخاء، والصفح عن المسيء، ولكن صلاح الدين لم يُلقَ في غيابة الجب، ولم يودع السجن ظلماً.

وفي قصيدة أخرى يركز عمارة اليماني على هذه المفارقة بين قصتي يوسف الصديق، ويوسف الصلاح، المتمثلة في سجن يوسف الصديق وعدم سجن يوسف الصلاح، وإن تشابهها في حسن الخلق، والخلق، والاسم وإقامة العدل، وحسن التدبير، والتصدي للشرك، والكفر، فيقول^(١١٤):

يَا شَبِيهَ الصَّدِيقِ عَدْلًا وَحُسْنًا	وَسَمِيًّا حَكَاهُ مَعْنَى وَمَعْنَى
هَذِهِ مِصْرُ يَوْسُفٍ حَلَّ فِيهَا	يَوْسُفُ مَالِكًا، وَمَا حَلَّ سِجْنًا

وهذا العماد الأصفهاني يتخيل أن مصر نفسها حنت إلى عهد يوسف الصديق عليه السلام، وما ساد من أمن، واستقرار، ورخاء، وعدل، وتمت عودة ذلك العهد الميمون، فاستجاب الله تعالى لها، وحقق لها أمنيتها، فأعاد لها عهد يوسف الصديق، ولكن في ظل يوسف آخر، هو يوسف الصلاح. قال العماد^(١١٥):

وَلَمَّا صَبَتْ مِصْرُ إِلَى عَصْرِ يَوْسُفٍ	أَعَادَ إِلَيْهَا اللَّهُ يَوْسُفَ وَالْعَصْرَا
فَأَجْرَى بِهَا مِنْ رَاحَتِهِ بِجُودِهِ	بِحَارًا، فَسَمَّاها الْوَرَى أَنْمَلًا عَشْرًا

ونجد شعراء الجهاد أحياناً يركزون على نهاية قصة يوسف عليه السلام، عندما جاء يعقوب عليه السلام البشير بقميص يوسف عليه السلام، فألقاه عليه، فأعاد الله

تعالى إليه بصره ، وعادت بهجة الحياة في أوصاله ، وتبسم له الدهر بعد طول قطوب .

فعندما عاد صلاح الدين إلى الشام بعد أن فك الحصار عن الإسكندرية قال العماد الأصفهاني مستعيداً أحداث قصة يوسف عليه السلام ، وفي الوقت نفسه موجهاً نظر صلاح الدين إلى العودة إلى مصر للاستقرار فيها ، وإعدادها للمعركة الحاسمة ضد الفرنجة^(١١٦) :

عَادَ مِنْ مِصْرَ يَوْسُفٌ وَإِلَى يَعْقُوبَ
فَلَأَيُّوبَ مِنْ إِيَابِ صَلاَحِ الدِّينِ
وَكَذَا إِذْ قَمِيصُ يَوْسُفَ لَاقَى
وَجْهَ يَعْقُوبَ عَادَ وَهُوَ بَصِيرٌ
لَكُمْ عَوْدَةٌ إِلَى مِصْرَ بِالنَّصْرِ
رِ عَلَى ذِكْرِهَا تَمُرُّ الْعُصُورُ

وقد يحرص شاعر الجهاد ضد الصليبيين على أن يحقق أكبر قدر من التوافق بين القصتين : قصة نبي الله يوسف ، وقصة صلاح الدين يوسف ، كما نجد عمارة اليميني حين يعبر عن تعجبه : كيف أعاد الله قصة يوسف الصديق عليه السلام ، في شخص يوسف بن أيوب بذلك التوافق الشديد ، وبخاصة في خاتمها ، وذلك بعد أن مكن الله تعالى لصلاح الدين في مصر ، فاستلحق والده وإخوته ، فأواهم ، ورفعهم . يقول عمارة اليميني^(١١٧) :

صَحَّتْ بِهِ مِصْرُ وَكَانَتْ قَبْلَهُ
عَجَبًا لِمَعْجَزَةِ أَتَتْ فِي عَصْرِهِ
رَدَّ إِلَهُ بِهِ قَضِيَّةَ يَوْسُفَ
جَاءَتْهُ إِخْوَتُهُ وَوَالِدُهُ إِلَى
فَاسَعَدَ بِأَكْرَمِ قَادِمٍ ، وَبِدَوْلَةٍ
تَشْكُو سِقَامًا لَمْ يُعْنِ بِطَبِيبٍ
وَالدَّهْرُ وَلَادَ لِكُلِّ عَجِيبٍ
نَسَقًا عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّقْرِيبِ
مِصْرَ عَلَى التَّدْرِيجِ وَالتَّرْتِيبِ
قَدْ سَاعَدَتْكَ رِيَاحُهَا بِهَيُوبٍ

وقريب من ذلك قول الحكيم الجلياني^(١١٨) ، وإن كان يبدو أكثر اهتماماً بالتفاصيل والجزئيات ، وأوضح تأثراً بالصياغة القرآنية^(١١٩) :

مَنْ مَشَرِقِ الْمَجْدِ نَجْمُ الدِّينِ مَطْلَعُهُ
جَاءُوا كِيعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطُ إِذْ وَرَدُوا
وَكُلُّ أُنْبَاءِهِ شُهْبٌ فَلَا أَفْلُو
عَلَى الْعَزِيزِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَاشْتَمَلُوا

لَكِنْ يَوْسُفَ لِهَذَا جَاءَ إِخْوَتُهُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ نَزْعٌ وَلَا زَلُّ
وَمَلَكُوا أَرْضَ مِصْرَ فِي شِبَاحَتِهِ وَمِثْلُهَا لِرَجَالٍ مِثْلُهُمْ نَزَلُوا

ومن الربط بين قصة يوسف عليه السلام، وقصة صلاح الدين، مع التركيز على المشهد الأخير، حيث يظهر يوسف عليه السلام، وقد اجتمع شمله بأبويه وإخوته، فيرفع أبوه على العرش، ويخرون له ساجدين ﴿ وَرَفَعَ أَبُو يَسَّى عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (١٢٢).

وبذلك تحقق حلم يوسف عليه السلام الذي قصه على أبيه يعقوب عليه السلام في أول سورة يوسف ﴿ إِذْ قَالَ يَوْسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (١٢٣). ومن ذلك الربط قول أبي الحسن بن الساعاتي (١٢٤):

لَقَدْ جَرَّدَتْ عَزْمًا نَاصِرِيًّا يَحْدُثُ عَنْ سَنَاهِ طُورٍ سِينَا
فَكُنْتُ كَيُوسُفَ الصَّدِيقِ حَقًّا لَهُ هَوَاتِ الْكَوَاكِبُ سَاجِدِينَ
لَقَدْ أَتَعَبْتُ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي وَحَاوَلَ أَنْ يُسَوِّسَ الْمُسْلِمِينَ
وَأَنْ تَكْ آخِرًا وَخَلَائِكَ دَمٌ فَإِنَّ مُحَمَّدًا فِي الْآخِرِينَ

وحينما قطعت الخطبة عن الخليفة الفاطمي بمصر، وخطب فيها للخليفة العباسي، وعادت مصر إلى الارتباط بالخلافة العباسية التي كان نورالدين وصلاح الدين يحكان باسمها، انتهى عهد كانت تخضع فيه مصر للرافضة الفاطميين. وإذا كان يوسف الصديق عليه السلام قد خلصها من الفساد، فإن يوسف الصلاح قد أنقذها من الرافضة، وانحرافهم. وفي ذلك يقول شمس المعالي (١٢٥)، أبو الفضائل الحسين بن محمد بن تركان (١٢٦):

وَلَا غَرَوَ إِنْ دَانَتْ لِيُوسُفَ مِصْرُهُ وَكَانَتْ إِلَى عَلِيَّاهِ تَتَشَوَّفُ
تَمَلَّكَهَا مِنْ قَبْضَةِ الْكُفْرِ يَوْسُفُ وَخَلَّصَهَا مِنْ عُصْبَةِ الرُّفْضِ يَوْسُفُ
فَسَابَهَتْهُ خَلْقًا، وَخُلُقًا، وَعِفَّةً وَكُلٌّ عَنِ الرَّحْمَنِ فِي الْأَرْضِ يَخْلِفُ

وفضلاً عن التقارب في الأحداث بين قصة يوسف عليه السلام، وما جرى لصلاح الدين في مصر ثمة تشابه في ملامح الشخصيتين: - كما يرى ابن تركان - كالأخلاق، والصفات، والاستخلاف في الأرض.

ويستلهم العماد الأصفهاني قصة النبي داود عليه السلام، وجالوت الواردة في القرآن الكريم^(١٢٥)، محاولاً أن يعزز الثقة بأن صلاح الدين سيقهر شاور السعدي، عن طريق الربط بين نبي الله داود عليه السلام، وصلاح الدين، وبين جالوت وشاور السعدي، فيقول^(١٢٦):

هَنِيئاً لِمَصْرَ حَوْزُ يَوْسُفَ مُلْكُهَا بِأَمْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ قَدْ كَانَ مَوْقُوتاً
وَمَا كَانَ فِيهَا قَتْلُ يَوْسُفَ شَاوِراً يَهْتَلُ إِلَّا قَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتاً
وَقُلْتُ لِقَلْبِي: أَبْشِرِ الْيَوْمَ بِالْمَتَى فَقَدْ نَلْتِ مَا أَمَلْتُ بَلْ حُزْتُ مَا شِئْتِ

فسيقهر صلاح الدين خصومه وأعداءه، لأن الحق والخير لا بد أن يقهرا الباطل والشر.

ويستلهم ابن سناء الملك^(١٢٧) قصة داود وسليمان عليهما السلام، فيربط بينهما وبين صلاح الدين وابنه الأفضل علي محاولاً أن يبين أن علياً قد ورث صلاح الدين، كما ورث سليمان داود؛ ليوحى بالتمكين، والثبوت، وامتداد الحكم في الأيوبيين، فيقول^(١٢٨):

مَا عَلَيَّ إِلَّا سُلَيْمَانُهُ الْأَعْدَى ظَمُّ مُلْكاً، وَيَوْسُفُ دَاوُدُ

وهكذا تداول شعر الجهاد ضد الصليبيين قصص الأنبياء الكرام واستلهموا أحداثها، مكتفين بالإشارة والتلميح حيناً، ومؤثرين بإيراد بعض التفاصيل حيناً آخر. ومن المؤكد أنه كان لذلك أثر بالغ في الارتقاء بشعرهم، فكرياً وفنياً، وفي إحاطة قضية الجهاد ضد الصليبيين بعبق الإيمان وألقه، وإكسابها هالة نورانية قرآنية، تفيض بطاقات، وقدرات لا حصر لها، وتدفع إلى التضحية والفداء في سبيل الحق والخير، والإيمان.

وما هو جدير بالتنويه، ونحن نتحدث عن استلهم القصص القرآني بوصفه أحد مظاهر الوعي عند شعراء الجهاد ضد الصليبيين أن استلهم قصص الأنبياء عليهم السلام قد واكبه استلهم قصص الأمم البائدة، للربط بينها وبين المحتلين من ناحية، وبينها وبين الخونة والمتآمرين من ناحية أخرى. ومن هذا المنطلق أكثر شعراء الجهاد

من استحضار قصص : عاد، و ثمود، وقوم فرعون، وقدار بن سالف عاقر ناقة سيدنا صالح عليه السلام، الذي جر على قومه الانتقام الإلهي .

فهذا محمد بن نصر القيسراني يستلهم قصة قوم عاد، فيتنبأ أن نهاية الصليبيين المحتلين ستكون شبيهة بنهايتهم، ويربط بين الفئتين في الظلم، والطغيان، والعصيان ؛ ليوحي أن عاقبة أولئك المتغطرسين الظالمين مثل عاقبة سابقهم من الأمم الطاغية التي ذقت جزاء طغيانها وكفرها، وأن انتقام الله عز وجل سيحقق بهم، فيقول^(١٢٩):

وإنما الإفرنجُ من بغيتها عادٌ، وقد عادَ لهم هودُ

ويحذو ابن منير الطرابلسي حذو ابن القيسراني مستلهماً قصتي عاد و ثمود ونبيي الله الكريمين صالح وهود عليهما السلام، ومتوقفاً للصليبيين قرب حلول الانتقام الإلهي، فيقول في مدح نورالدين محمود^(١٣٠):

إنَّ آلَموا عَقْرًا فَإِنَّكَ صَالِحٌ أَوْ آلَموا غَدْرًا فَإِنَّكَ هُودُ

ويستلهم ابن دنيير اللخمي^(١٣١) قصة فرعون وموسى عليه السلام، رابطاً بين كل من فرعون وقائد الصليبيين في موقعة دمياط وبين موسى عليه السلام، والأشرف موسى بن العادل فيقول^(١٣٢):

فِرْعَوْنُ كُفَّرَهُمْ طَغَى فَأَتَاهُمْ مُوسَى بِإِغْرَاقٍ بِنَحْرِ جُنُودِهِ

وفي موضع آخر يربط ابن دنيير اللخمي الصليبيين بعاد و ثمود موحياً بأن قائدهم يجرهم إلى الهلاك والدمار، لأنه في الشؤم قرين لقدار بن سالف عاقر ناقة صالح عليه السلام، فيقول^(١٣٣):

هَمْدُوا كَمَا هَمَدْتَ ثَمُودَ وَقَادَهُمْ بِخَسَارِهِمْ مَا أَتَوْهُ قَدَارُ

ويردد ابن دنيير هذا الاستلهام مستغلاً ما يرمز إليه اسم «قدار» من الشؤم، قائلاً^(١٣٤):

مَا زِلْتَ تُنْعِمُ وَهُوَ يَكْفُرُ عَاتِيًا وَاللَّهُ يَهْدِي مَا بَنَى الْخَتَارُ

حَتَّى أَتَاكَ لِقَوْمِهِ مَا جَرَّهُ لثَمُودَ مِنْ ذَبْحِ الْفَصِيلِ قَدَارٌ

المحور الثاني: استلهام السيرة النبوية الشريفة:

كانت أحداث السيرة النبوية العطرة حاضرة في وجدان شاعر الجهاد ضد الصليبيين وهو يعبر عن تصدي أبطال الجهاد من مثل: نور الدين محمود، وأسد الدين (شيركوه)، وصلاح الدين يوسف بن أيوب للعدوان الصليبي العاتي على الإسلام أمة، وأرضاً، وعقيدة، وإنساناً.

وعندما تتابعت الانتصارات الإسلامية على المحتلين الصليبيين أخذ شعراء الجهاد يستلهمون فتوحات النبي صلى الله عليه وسلم، وتضحيات صحبه الكرام في سبيل إقامة البناء الإسلامي الشامخ، وهدم أركان الشرك والوثنية.

وقد كان لانتصارات نورالدين محمود المتعاقبة على الصليبيين آثار عميقة في نفوس المسلمين، أعادت إلى الأذهان فتوح النبي صلى الله عليه وسلم، وجددت سير أصحابه الأبرار رضي الله عنهم. وفي ذلك يقول ابن منير الطرابلسي^(١٣٥):

أَعَدَّتْ بِعَصْرِكَ هَذَا الْأَنْبِيَّ فَتَوَّحَّ النَّبِيُّ وَأَغْصَارَهَا
وَكَانَ مُهَاجِرُهَا تَابِعِيكَ وَأَنْصَارُ رَأْيِكَ أَنْصَارَهَا
فَجَدَّدَتْ إِسْلَامَ سَلْمَانَهَا وَعَمَّرَ جَدُّكَ عَمَّارَهَا

وإذا كان جهاد نورالدين محمود رحمه الله يذكر بالفتوح النبوية، وبتضحيات سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، فإنه يبعث في القلوب والعقول صوراً متألقة أخرى، ويحيي فيها صوراً من جهاد علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في العهد النبوي الشريف، كما يقول ابن منير من قصيدة أخرى: ^(١٣٦)

نُشِرَتْ بِمَحْمُودٍ شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ وَأَرَى الصَّحَابَةَ مَا احْتَدَاهُ صَحَابُهُ
مَا غَابَ أَصْلَعُ هَاشِمٍ فِيهَا وَلَا آلَ فَارُوقُ بَاءَ بِخَطْبِهِ خَطَابُهُ

ويردد ابن منير استلهام الفتوح النبوية، وأحداث السيرة الشريفة، وجهاد الصحابة من مهاجرين وأنصار بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول من قصيدة أخرى^(١٣٧):

عَارِيَّةَ الزَّمَنِ الْمَغِيرِ سَمَاهَا مِنْكَ الْمَغِيرَةُ فَاسْتَرَدَّ مُعَارَهَا
نَبَوِيَّ تَشْبِيهِ الْفُتُوحِ كَأَنَّمَا أَنْصَارُهُ رَجَعَتْ لَهُ أَنْصَارُهَا
أَحْيَا لِصِرْحٍ سَلَامِهَا سَلَامَانَا وَأَمَاتَ تَحْتَ غِمَارِهَا غِمَارَهَا

ويستلهم العماد الأصفهاني جهاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، في تسجيله للأحداث التي أسفرت عن القضاء على شاور بن مجير السعدي، وتبديد أحلام الصليبيين بالسيطرة على مصر، فيربط جهاد القائد أسد الدين (شركوه) بجهاد الرسول صلى الله عليه وسلم، موضحاً كيف فتك الرعب بالصليبيين بالسيطرة كما كان يفتك بالمشركين في العهد النبوي الشريف قبل أن يفتك بهم جند الإسلام، فيقول العماد مخاطباً أسد الدين^(١٣٨):

وَمَا غَضِبْتَ لَدِينِ اللَّهِ مُتَّقِيًا إِلَّا لِنَيْلِ رِضَا الرَّحْمَنِ بِالْغَضَبِ
وَأَنْتَ مِنْ وَقَعْتَ فِي الْكُفْرِ هَيْبَتُهُ وَفِي ذَوْبِهِ وَقُوعَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ
وَحِينَ سِرَّتْ إِلَى الْكُفَّارِ فَانْهَزْمُوا نُصِرْتَ نَصْرَ رَسُولِ اللَّهِ بِالرُّعْبِ

ومثلما أوبق الغدر والبغي بني قريظة وبني النضير في العهد النبوي الشريف، كذلك أوبق شاور بغيه وغدره. يقول العماد الأصفهاني مستلهماً أحداث السيرة النبوية الشريفة، وقصة فرعون وموسى عليه السلام^(١٣٩):

لَاذَ بِالنَّيْلِ شَاوَرٌ مِثْلَ فِرْعَوْنَ نَ فَدَلَ اللَّاجِي، وَعَزَّ الْعُبُورُ
شَارَكَ الْمَشْرِكِينَ بَغْيًا وَقَدْ مَا شَارَكْتُهَا قَرِيبَةً وَالنُّضِيرُ

وقد أوحى فك الحصار الصليبي عن الإسكندرية بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبي للعماد الأصفهاني بالربط بينه وبين فشل الأحزاب في موقعة الخندق في العهد النبوي الشريف، فقال مستلهماً أحداث غزوة الخندق، والنصر الذي أحرزه الرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين^(١٤٠):

وَحَمَيْتَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ عَنْهُمْ وَرَحَى حَزَبَهُمْ عَلَيْهِمْ تَدْوُرُ
حَاصَرُوهَا وَمَا الَّذِي بَانَ مِنْ دَبٍّ لَكَ عَنْهَا وَحَفَظَهَا مُحْصُورُ
كَحِصَارِ الْأَحْزَابِ طَيِّبَةً قَدَمًا وَنَبِيُّ الْهُدَى بِهَا مَنْصُورُ

وعندما تصل انتصارات صلاح الدين الأيوبي إلى ذروتها متمثلة في الهزيمة الساحقة التي لحقت بالصلبيين في حطين، ثم ما تبعها من استنقاذ بيت المقدس من براثن المحتلين، أقبل شعراء الجهاد على استلهم الفتوحات النبوية الكبرى، والربط بينها وبين فتح القدس.

فهذا العماد الأصفهاني يربط فتح القدس وتطهيرها من الرموز النصرانية من صلبان، ونواقيس، وغيرها، بفتح مكة المكرمة وتطهيرها من الرموز الوثنية من أنصاب، وأزلام، وأوثان قائلاً^(١٤١):

نَفَى عَنِ الْقُدْسِ صُلْبَانَا كَمَا نُفِيتْ مِنْ بَيْتِ مَكَّةَ أَزْلَامُ وَأَنْصَابُ

وينظر الشاعر أبو الحسن علي الجويني إلى فتح القدس على يد صلاح الدين على أنه مذكر بالفتوح النبوية، ويرى أن ذلك الفتح لوقع في العهد النبوي الشريف لنزل فيه قرآن يتلى، فيقول^(١٤٢):

هَٰذَا الْفَتْوحُ فَتُوحُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا لَهَا سِوَى الشُّكْرِ بِالْأَفْعَالِ أَثْمَانُ
لَوْ أَنَّ ذَا الْفَتْحِ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ لَقَدْ تَنَزَّلَتْ فِيهِ آيَاتٌ وَقُرْآنُ

ويقدم الشاعر محمد بن أسعد الحلبي^(١٤٣)، فتح القدس بقيادة صلاح الدين إلى الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه عمل أنجز^(١٤٤) في سبيل الرسالة التي جاء بها عليه السلام، وفي سبيل العقيدة التي جاهد من أجل ترسيخها، يقول محمد بن أسعد^(١٤٥):

مَنْ كَانَ هَٰذَا فَتْحُهُ لِمُحَمَّدٍ مَاذَا يَقَالُ لَهُ؟ وَمَاذَا يُذَكَّرُ؟

يتضح من ذلك أن الفتوح الإسلامية في العهد النبوي الشريف كانت ملهماً - آخر - بعد القصص القرآني لشعراء الجهاد ضد الصليبيين، وظلت مصدراً حراً لشعراء الجهاد على أن ينهلوا منه، ليصلوا حاضر أمتهم بماضيها، ويربطوا جهادهم المعاصر بجهاد رسولهم الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

المحور الثالث : استلھام جھاد الصحابة رضي الله عنهم

تبين لنا في أثناء العرض السابق مدى استلھام شعراء الجھاد ضد الصليبيين لأحداث السيرة النبوية العطرة. غير أنه قد اتضح أيضاً أن أولئك الشعراء وهم يستلھمون تلك الأحداث قد عرّجوا على جھاد الصحابة رضوان الله عليهم ، لاتصاله الوثيق بأحداث السيرة النبوية .

لقد ذكّر جھاد المسلمين وقادتهم ضد الصليبيين بما اتسم به من إخلاص لله تعالى ، وبسالة في القتال ، وإصرار على النصر أو الشهادة في سبيل الله ، ذكّر ذلك الجھاد الصادق بجھاد الصحابة رضي الله عنهم ، فراحوا يستلھمون جھاد علي، وعمر، وأبي عبيدة، وعثمان، وأبي بكر رضي الله عنهم ، وهم يصورون جھاد قادتهم المعاصرين من أمثال: أسد الدين (شيركوه) ، ونورالدين محمود، وصلاح الدين يوسف وسواهم .

ولا شك أن جھاد أسد الدين (شيركوه) ضد الصليبيين من ناحية، وضد الوزراء المتلاعبين بمصير مصر إبان الحكم الفاطمي من ناحية ثانية قد أحيا آمال المسلمين، وجدد عزمهم على الجھاد ضد المحتلين الصليبيين، مما دعا الشعراء إلى استلھام صورة علي رضي الله عنه، فقال الشاعر عرقلة الكلبي في الثناء عليه، وعلى ابن أخيه صلاح الدين، وذم شاور السعدي^(١٤٦):

كَأَنَّ ابْنَ شَاذِي وَالصَّلَاحَ وَسِيقَهُ	عَلِيٌّ لَدَيْهِ شَبْرٌ وَشَبِيرٌ
هُوَ الْأَسَدُ الضَّارِي الَّذِي جَلَّ	
شَأْنُهُ	وَشَاوَرُ كَلْبٍ لِلرَّجَالِ عَقُورُ
بَغَى وَطَغَى حَتَّى لَقَدْ قَالَ قَاتِلُ	عَلَى مِثْلِهَا كَانَ اللَّعِينُ يَدُورُ
فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ تَرْبَةَ قَبْرِهِ	وَلَا زَالَ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ

وبعد قضاء أسد الدين (شيركوه) على شاور، قال العماد الأصفهاني مستلھماً جھاد علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: ^(١٤٧)

فَأَنْتَ مَنْ زَانَتْ الْأَيَّامُ سِيرَتَهُ وَزَادَ فَوْقَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ السَّيْرُ

لو في زمانِ رسولِ اللَّهِ كُنْتَ أَتَتْ في هذه السيرة المحمودَةِ السُّورُ
أَصْبَحْتَ بِالْعَدْلِ وَالْإِقْدَامِ مَنْفَرْدًا قُلْ لَنَا: أَعْلَى أَنْتَ أَمْ عُمَرُ؟

وقال عرقلة الكلبي يمتدح أسد الدين، ويصف وقائعهُ في صعيد مصر ضد خصومه، وما أبداه فيها من بسالة، مستلهماً بطولة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما أبداه من شجاعة في موقعة صفين^(١٤٨):

مَلِكُ فَعْلُهُ بِدَلْجَةٍ^(١٤٩) وَالْبَا ب، فِعَالُ الْإِمَامِ فِي صِفِّينَ

وكان لانتصار صلاح الدين المدوي على الصليبيين في حطين، وما أعقبه من إنقاذ القدس أثر في تكثيف استلھام جهاد الصحابة في أثناء تسجيل هاذين الانتصارين العظيمين. فهذا الحكيم عبد المنعم الجلياني يتصور رضا الصحابين الجليلين: أبي عبيدة عامر بن الجراح، وعمر بن الخطاب عنه، فيقول^(١٥٠):

فَلَوْ رَأَى وَقَدْ حُزَّتِ الْعُلَا عُمَرُ فِي قُلَّةِ التَّلِّ قَضَى كُنْهَ عِبْرَتِهِ
وَلَوْ رَأَى وَأَهْلُ الْقُدْسِ فِي وَلِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ فَذَى مِنْ مَسَرَّتِهِ
دَارَتْ بِكَ الْمِلَّةُ الْحُسْنَى فَتَحْنُ عَلَى عَهْدِ الصَّحَابَةِ فِي اسْتِمْرَارِ مِلَّتِهِ

ويربط أبو الحسن بن الساعاتي فتح القدس على يد صلاح الدين بفتحها الأول على يد الفاروق رضي الله عنه، فيقول^(١٥١):

هُوَ الْفَاتِحُ الْبَيْتِ الْمَقْدَسِ بَعْدَمَا تَحَامَتُهُ سَادَاتُ الدُّنَا وَمَسُودُهَا
فَضِيلَةُ فَتَحٍ كَانَ ثَانِي خَلِيفَةٍ مِنْ الْقَوْمِ فَبَدِيهَا وَأَنْتَ مَعِيدُهَا

ويؤكد فتیان بن علي الشاغوري أن صلاح الدين هو شريك عمر في التجارة الراجعة، ألا وهي الجهاد في سبيل الله، ضد الكفر، والشرك، والطغيان، فيقول^(١٥٢):
مستلهماً جهاد عمر رضي الله عنه، ومتفياً ظلال قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِمٍ ۖ تَوَمُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُعْلَمُونَ﴾^(١٥٣).

فَلَقَدْ وَأَدَّتِ الشَّرْكَ يَوْمَ لَقِيَتَهُمْ وَغَدَوَتْ لِلْإِسْلَامِ عَيْنَ الْمُنْشِرِ

وَأَرَيْتَهُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ بِالْبَيِّتِ
وَرَدَدْتُ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ قُطُوبِهِ
سِت، الْمَقْدَسِ هَؤُلَ يَوْمَ الْمُحْشَرِ
بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِوَجْهِ مُسْفِرٍ
عُمَرُ فَأَنْتَ شَرِيكُهُ فِي الْمُتَجَرِّ

ويرى الشاعر محمد بن أسعد الحلبي في صلاح الدين قائداً مسلماً، ينهج نهج الخلفاء الراشدين في جهاده وانتصاراته، ويترسم خطاهم، ويستلهم سيرهم فله من الفاروق عمر فتوحه وانتصاراته، ومن ذي النورين عثمان تطبيقه لأحكام الشريعة، ومن علي بن أبي طالب توضيحاته في سبيل نصرة الإسلام ورسوله الكريم، هذا فضلاً عن تدبير نبي الله يوسف الصديق عليه السلام وحكمته وعفته، يقول محمد بن أسعد الحلبي (١٥٤):

يَا يُوسُفُ الصَّدِيقُ أَنْتَ لَفْتَحَهَا
وَلَأَنْتَ عُثْمَانُ الشَّرِيعَةِ بَعْدَهُ
فَارُوقُهَا عُمَرُ الْإِمَامُ الْأَظْهَرُ
وَلَأَنْتَ فِي نَصْرِ النُّبُوَةِ حَيْدَرُ

ويقرن عبدالمنعم الجليلاني إنجازات صلاح الدين في حطين بانتصار المسلمين الحاسم في معركة القادسية الخالدة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فيقول مستشعراً العزة الإسلامية، ومستلهماً معارك الإسلام الأولى (١٥٥):

أَمَا رَأَيْتُمْ فَتُوحَ الْقَادِسِيَّةِ فِي
وَالْحَقُّ يَغْرِسُ وَالطُّغْيَانُ مُتَّحِبٌ
أَكْنَافِ لُؤَيَّةٍ تُجَلَّى وَذَا عُمَرُ؟
وَالْكَفْرُ يُطْمَسُ وَالْإِيْمَانُ مُزْدَهَرُ

وفي قصيدة أخرى يصل الجليلاني أيام الفتح القدسي في ظل السلطان الفاتح صلاح الدين بعهد الصحابة رضي الله عنهم، ويقرن بين صلاح الدين وأبي بكر الصديق، كما يقرن تقي الدين عمر وهو ابن أخي صلاح الدين وأحد كبار قادته، بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقرن العزيز عثمان ابن صلاح الدين بعثمان بن عفان رضي الله عنه، والأفضل علي بن صلاح الدين بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيقول مستحضراً عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم أجمعين، مخاطباً صلاح الدين (١٥٦):

دَارَتْ بِكَ الْمِلَّةُ الْحُسْنَى فَنَحْنُ عَلَى
عَهْدِ الصَّحَابَةِ فِي اسْتِمْرَارِ مِلَّتِهِ

وَأَنْتَ كَاسِمُكَ صِدِّيقٌ وَصَاحِبُهُ الـ مَلِكُ الْمُظْفَرُ سَامٍ فِي مَبَرَّتِهِ
وَفِي الثَّلَاثَةِ عَشْرًا يُؤَيِّدُهُ عُلَا عَلِيٌّ عَلَى إِشَارِ نُصْرَتِهِ

ويتمنى أبو الحسن بن الساعاتي أن ينهض عمر بن الخطاب من مرقده ليشهد بلاء صلاح الدين مجدد سيرته، ومحبي جهاده، والفتاح الثاني للقدس، فيهتف قائلاً^(١٥٧):

فَلَيْتَ فَتَى الْخُطَابِ شَاهَدَ فَتَحَهَا فَيُشْهَدُ أَنَّ السَّهْمَ مِنْ يَوْسُفٍ أَصَمَّى
وَقَدْ أُوتِيَ الْفَتْحِينَ : مَا لَمْ يَبْقِ مَا لَمْ يَبْقِ مَا لَمْ يَبْقِ مَا لَمْ يَبْقِ مَا لَمْ يَبْقِ

ويخاطب ابن جبير^(١٥٨) بيت المقدس بعد استنقاذه من براثن المحتلين مبيناً أن الله تعالى قد آثره بفاتحين عظمين: عمر بن الخطاب في الراشدين، وصلاح الدين يوسف في المعاصرين، فيقول من قصيدة مدح بها السلطان صلاح الدين^(١٥٩)

فَتَحْتَ الْمُقَدَّسَ مِنْ أَرْضِهِ فَعَادَتْ إِلَى وَضْعِهَا الطَّاهِرِ
وَجُنَّتْ إِلَى قُدْسِهِ الْمُرْتَضَى فَخَلَصَتْهُ مِنْ يَدِ الْكَافِرِ
وَأَعْلَيْتَ فِيهِ مَنَارَ الْهُدَى وَأَحْيَيْتَ مِنْ رُسْمِهِ الدَّابِرِ
لَكُمْ ذَخِرَ اللَّهِ هَذِي الْفُتَّى حَوْجَ مِنَ الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الْغَابِرِ
وَحَصَّكَ مِنْ بَعْدِ فَاوَرِقِهِ بِهَا لِاصْطِنَاعِكَ فِي الْآخِرِ

وهكذا يبدو أنه كان لارتباط اسمي الفاتحين العظمين : الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصلاح الدين الأيوبي بفتح القدس أثر واضح في إلحاح شعراء الجهاد ضد الصليبيين على استحضار صورة الفاتح الأول رضي الله عنه، واستلهام جهاده عند الشئاء على الفاتح الثاني، والتغني بانتصاراته التي يعد إنقاذ القدس درة تاجها، وواسطة عقدها.

غير أن شعراء الجهاد ضد الصليبيين لم يقتصرُوا على استلهام القصص القرآني، والسيرة النبوية العطرة، وجهاد الصحابة رضي الله عنهم، بل تعدوا ذلك إلى استلهام التاريخ الإسلامي الحافل بالبطولات، فعمدوا إلى شخصيات إسلامية ذات شهرة جهادية وقيادية، فاستلهموا جهادها وتضحياتها، ومن ذلك قول الشاعر عبد المنعم

الجلياني مستحضراً جهاد القائد الأموي مسلمة بن عبد الملك^(١٦٠) الذي دوخ بحملاته الروم، وقاد الجيوش الإسلامية الفاتحة إلى أسوار القسطنطينية، وشتا بها، وغزا الترك والخزر؛ ومادحاً صلاح الدين بعد إنقاذ القدس^(١٦١):

تَسْعُونَ عَاماً بِلَادَ اللَّهِ تَصْرُخُ وَالـ	إِسْلَامٌ أَنْصَارُهُ صُمٌّ وَعُمَيَّانُ
فَالآنَ لَبَّى صِلَاحُ الدِّينِ دَعْوَتُهُمْ	بَأَمْرٍ مَنْ هُوَ لِلْمِعْوَانِ مِعْوَانُ
حِبَاهُ ذُو الْعَرْشِ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ فَقَا	لَ النَّاسُ: دَاوُدُ هَذَا أَمْ سُلَيْمَانُ؟
فِي نَصْفِ شَهْرٍ غَدَاً لِلشَّرِكِ مُضْطَلَباً	فَطُهِرْتَ مِنْهُ أَقْطَاراً وَبُلْدَانُ
فَأَيْنَ مَسْلَمَةٌ عَنْهَا وَإِخْوَتُهُ؟	بَلْ أَيْنَ وَاللَّهِمْ؟ بَلْ أَيْنَ مَرْوَانُ؟

ومن الواضح أن الشاعر لم يقف عند الربط بين صلاح الدين ومسلمة بن عبد الملك، بل توسع في ذلك فجعل عصر صلاح الدين امتداداً للعصر الأموي، وجعل جهاده امتداداً لجهاد الخلفاء الأمويين العظام الذين كان الجهاد في عهدهم في أوج زخمه ومده، وهم عبد الملك بن مروان، وأبناؤه: الوليد وسليمان، ويزيد، وهشام، وذلك بعد أن هيا لفكرة الاستقرار والتمكين من خلال استلهم صورة النبيين الكريمين سليمان وداود عليهما السلام.

ولعل خير ما يمثل التوسع في فكرة الاستلهم هذه الأبيات من قصيدة للعماد الأصفهاني التي استلهم فيها قصة موسى عليه السلام وفرعون، وقصة يوسف عليه السلام، وحصار الأحزاب لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخيانة يهود بني قريظة وبني النضير وتواطؤهم مع الكفار والمشركين، واستغلال ذلك كله لتحقيق هدفين رئيسيين هما: حتمية النصر والتمكين لصلاح الدين، وحتمية اندحار المحتلين والمتخاذلين. قال العماد الأصفهاني^(١٦٢):

لَاذَ بِالنَّبِيلِ شَاوَرٌ بَغِيّاً مِثْلَ فِرْعَوَ	نَ فَذَلَّ الْجَلَّاجِي وَعَزَّ الْعُبُورُ
شَارَكَ الْمَشْرِكِينَ بَغِيّاً وَقِدَمَا	شَارَكْتَهَا قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
حَاصِرُوهَا وَمَا الَّذِي بَانَ مِنْ ذَبِّ	كَ عَنْهَا، وَحِفْظُهَا مَحْضُورُ
كَحَصَارِ الْأَحْزَابِ طَيِّبَةٍ، قَدَمَا	وَنَبِيُّ الْهُدَى بِهَا مَحْضُورُ
فَاشْكُرِ اللَّهَ حِينَ أَوْلَاكَ نَصْرَا	فَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرُ

وَرَقِبْنَا كَالْعِيدِ عَوْدَكَ فَالْيَوْمَ
عَادَ مِنْ مِصْرَ يَوْسُفَ وَإِلَى يَوْمِ
عَادَ فِيهَا بِالْحَمْدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
فَلَا يُؤَيِّبُ مِنْ إِيَابِ صِلَاحِ الدِّينِ
وَكَيْدًا إِذْ قَمِيصُ يَوْسُفَ لَأَقَى
وَلَكُمْ عَوْدَةٌ إِلَى مِصْرَ بِالنَّصْرِ
م بِهِ لِلْأَنَامِ عِيدٌ كَبِيرٌ
لِقُوبَ بِالْتَهْنِثَاتِ جَاءَ الْبَشِيرُ
تَعَالَى فَإِنَّهُ الْمَشْكُورُ
يَوْمَ بِهِ تُوْفِيَ النُّذُورُ
وَجَهَ يَعْقُوبَ عَادَ وَهُوَ بَصِيرٌ
رِ عَلَى ذِكْرِهَا تَمُرُّ الْعُصُورُ

هكذا، كان لحرص شعراء الجهاد ضد الصليبيين على الربط بين قادة الجهاد الإسلامي وبين الأنبياء والرسل عليهم السلام، وعلى استحضار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأحداث الجلية التي تخللتها، وعلى ربط جهاد المسلمين بجهاد صلى الله عليه وسلم وجهاد أصحابه رضي الله عنهم، كان لذلك كله آثار إيجابية ملموسة في شعرهم، لعل من أبرزها على المستوى الفكري والشعوري تعزيز ثقة المسلمين في عصر الحروب الصليبية بأنفسهم وتعميق إيمانهم بقدسية قضيتهم، وبأنهم يترسمون خطا الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم وينهجون منهجهم، وما لا شك فيه أن مثل تلك المشاعر والأحاسيس والقيم والمعاني كانت تدفعهم إلى مزيد من التضحيات، وتفجر فيهم المزيد من الطاقات وتدفعهم إلى استشراق آفاق النصر الكامل، وتنسم رائحته.

وعلى المستوى الفني فلا شك أن استلهام شعراء الجهاد للقصص القرآن، وللسيرة النبوية، ولجهاد الصحابة، قد أسهم إلى حد كبير في تنوع وسائل الأداء الفني عندهم، وتلوينها بألوان جديدة زاهية، كان لها الأثر الأكبر في إمداد شعرهم بطاقات فنية لا حصر لها، لعل من أبرزها إبعاد شعرهم عن الشرية التقريرية والمباشرة وإكسابه بعداً رمزياً خفيفاً من شأنه أن يحفز الذهن ويشعل الفكر ويحرك الوجدان.

وبعد ،

فحري بنا ونحن نواجه أعتى الهجمات في هذا العصر أن نستلهم ماضي أمتنا في صياغة حاضرنا ورسم آفاق مستقبلنا، وأن نستوحي من ذلك الماضي المشرق الدروس والعبر.

وحري بشعرائنا المعاصرين أن يستلهموا هذه المعاني ، وأن يستشعروا تلك الأبعاد في طرحهم لقضايا أمتهم الراهنة ، وفي تصديهم لما يحيط بهم من أخطار ، بهدف إشاعة تلك الأبعاد في ذاكرة أمتنا المعاصرة ، وفي وجدان الأجيال القادمة .

وحري بهم أن ينصرفوا عن الضبابية في التعبير ، والانحراف في الفكر ، والغموض في الرؤية ، والتصور ، والانجراف في تيارات الحيرة والقلق ، والدخول في دهاليز عدم الوعي وعدم الشعور ، والتنصل من تراثنا الفكري ، والفني والتنكر للتجارب الناجحة في تاريخنا ، والإعجاب بكل ما يفد من الغرب وتقليده حتى لو دخل الغرب جحر ضب لدخلوه .

حواش وتعليقات

- (١) التوبة : ٣٢ .
- (٢) البقرة : ١٢٠ .
- (٣) صالح مسعود بويصير، جهاد شعب فلسطين في نصف قرن، ص : ٧١ .
- (٤) المرجع السابق ، ص : ٦٥ .
- (٥) انظر : الدكتور علي الجندي : مقدمة ديوان عرقلة الكلبي بتحقيقه، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٩٠هـ، ص هـ ومقدمة ديوان فتيان الشاغوري، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٨٧هـ ص ٦ والدكتور عبدالعزيز الأهواني، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٢م ص ٣٠٢ والدكتور زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م ص ٣٢٨. والدكتور محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م ص ٢٦٨ .
ومنه من جعل لفظ الانحدار عنواناً لكتابه مثل الدكتور جودت الركابي. انظر الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م. ومواهم.
- (٦) اسمه محمد بن أحمد بن إسحاق، أموي النسب قرشي، ينسب إلى مكان مولده أبيورد (بفتح الهمزة وكسر الباء) كان عالماً بالحدِيث، واللغة، والنحو، والأنساب والأخبار، والشعر، وله عدة مؤلفات في التاريخ، والأنساب واللغة، فضلاً عن ديوانه الذي حققه الدكتور عمر الأسعد. توفي مسموماً بأصفهان سنة ٥٠٧هـ وانظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٤٤٤ والوفاء بالوفيات ٩١/٢ والمحمّدون من الشعراء ٣٦/١ وطبقات الشافعية الكبرى ٨١/٦ والخريدة / قسم شعراء العراق ١٠٦/١ وغيرها.
- (٧) ديوانه ١٥٦/٢ - ١٥٧ وتنسب في بعض المصادر إلى القاضي أبي سعيد الهروي، وهو محمد بن نصر بن منصور الهروي البشكاني، تولى القضاء في بغداد ودمشق، وتقلبت به الأحوال، فخدم الخليفة العباسي، وملوك السلاجقة، وسفر بين الملوك إلى أن قتلته الباطنية سنة ٥١٩هـ وانظر : طبقات الشافعية ٢٢/٧ والأنساب ٢٤٩/٢ ورمّة الزمان ٨/١١٥ والبداية والنهاية ١٢/١٦٥ وفضائل القدس ص : ١٢٥ والنجوم الزاهرة ١٥٠/٥.
- (٨) الحجرات : ١٠ .
- (٩) هو أتابك عباد الدين بن قسيم الدولة زنكي، مؤسس الدولة الزنكية وقائد الصحوّة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، شرع في توحيد البلاد الإسلامية قبل أن يتصدى للفرنجية، فالتحدت تحت قيادته العراق والشام والجزيرة، وألحق بالصلبيين هزائم كثيرة منها موقعة بارين، والرها، واستشهد وهو على حصار قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ انظر: مفرج الكروبي ٨٠/١ والروضتين ٢٦/١، ٩٦، ٩٧.
- (١٠) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، انظر : معجم البلدان ٣/١٠٦ .

- (١١) هو أبو عبدالله ، محمد بن نصر بن صغير بن داغرين محمد بن خالد المعروف بابن القيسراني ، انظر ترجمته في :
وفيات الأعيان ٤/٤٦١ ، والنجوم الزاهرة ٥/٣٠٢ وخريدة القصر / قسم شعر الشام ١/٩٦ .
- (١٢) أبو شامة المقدسي (كتاب) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، دار الخيل ، بيروت ١/٣٧ .
- (١٣) هو أبو الحارث شريكه بن شاذي عم صلاح الدين ، كان من كبار أمراء نورالدين ، وأرسله إلى مصر في خلافة
العاضد الفاطمي ، توفي بالقاهرة سنة ٥٦٤هـ ، ثم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة .
- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/٤٧٩ ، والوافي بالوفيات ١٦/٢١٤ والنجوم الزاهرة ٥/٢٨١ وشذرات
الذهب ٤/٢١١ .
- (١٤) هو أبو عبدالله بن محمد بن صفى الدين أبي الفرج المشهور بالعماد الأصفهاني ، ولد بأصفهان عام ٥١٩هـ ، ونشأ
بها ، وأصبح فيما بعد كاتباً للسر في الدولة الأيوبية وسجل شعره بطولات صلاح الدين وانتصاراته ، توفي سنة
٥٩٧هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢/٧٤ .
- (١٥) ديوانه ، تحقيق د. ناظم رشيد ، ص : ٧٩ .
- (١٦) هو الملك المظفر مجير الدين أبق بن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري ، ولي دمشق وهو دون البلوغ ، وكان
المدير لدولته معين الدين أنر ، الذي كان عمالاً للفرنجة ، وتوفي ببغداد سنة ٥٦٤هـ . انظر : ذيل تاريخ دمشق
ص : ٢٧١ والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص : ١٠٧ وشذرات الذهب ٤/٨٢١١ .
- (١٧) ولد بطرابلس سنة (٤٧٣هـ) وسجل شعره انتصارات عماد الدين زنكي وابنه نورالدين محمود ، وتوفي بحلب
سنة ٥٤٨هـ وله ديوان مطبوع ، وجمعه الدكتور عمر تدمري . انظر : وفيات الأعيان ١/١٥٦ .
- (١٨) ديوانه ، ص : ٢٣٠ ومطووس : مطووء ومداس ومكسور . وأرد : أهتم .
- (١٩) هو بهاء الدين زهير بن محمد ، ينتهي نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ، ولد بمكة المكرمة سنة ٥٨١هـ وتوفي بالقاهرة
سنة ٦٥٦هـ واتصل بملوك الأيوبيين : الكامل محمد ، وابنه الملك المسعود ، والصلاح أيوب ، ومدحهم ، وتولى
ديوان الإنشاء لثلاثهم ، انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/٣٣٢ والنجوم الزاهرة ٧/٦٢ وشذرات الذهب
٥/٢٧٦ .
- (٢٠) ديوانه ، ص : ١٠١ .
- (٢١) محمد : ٧ .
- (٢٢) هو أبو علي الحسن بن يوسف بن إبراهيم الجويني ، كان من حاشية الشهيد عماد الدين زنكي ، ثم لحق بعده
بولده نور الدين ، ثم بصلاح الدين يوسف وله فيه مدائح ، سجل فيها وقائمه وانتصاراته ، وتوفي سنة (٥٨٦هـ)
انظر : وفيات الأعيان ٢/١٣١ .
- (٢٣) أبو شامة المقدسي ، مصدر سابق ٢/١٠٤ .
- (٢٤) المصدر السابق ١/٣٧ .
- (٢٥) نفسه .
- (٢٦) ديوانه ، ص : ٢٣٠ .
- (٢٧) ديوانه ٢/١٥٦ .
- (٢٨) ابن تغري بردي الأتابكي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥/١٥١ - ١٥٢ .

(٢٩) هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى التغلبي، ولد بدمشق سنة ٤٥٠هـ وتوفي بها سنة ٥١٧هـ، كان معاصراً لابن حيوس، وتنقل بين دمشق وحلب وحماة، وشيّر وطرابلس وطاف البلاد ممتدحاً وجوه الناس حتى وصل إلى الري، وخراسان، وديوانه مطبوع برواية تلميذه الشاعر ابن القيسراني، وتحقيق خليل مردم وانظر ترجمته في : وفيات الأعيان ١/١٤٥ وخريدة القصر (بداية قسم شعراء الشام) ١٤٢، ٢٢ والوفاء بالوفيات ٦٧/٨ وغيرها.

(٣٠) هو الأمير مجد الدين غضب الدولة أبق بن عبدالله الرزاق، انظر: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٤.

(٣١) ديوانه، تحقيق خليل مردم، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ص : ١٨٥.

(٣٢) أبو شامة المقدسي، مصدر سابق ٣٧/١.

(٣٣) المصدر السابق ٨٧/١.

(٣٤) ديوانه، ص ٣٠٤.

(٣٥) أبو شامة المقدسي، مصدر سابق ٨٢/٢ وديوانه ص : ٢٢٧.

(٣٦) ديوانه ص : ٢٣٠ وأبو شامة، مصدر سابق ٨٣/٢.

(٣٧) هو جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني، وزير لعبد الدين زنكي، وكان كثير البر والإحسان والأعمال الصالحة، توفي سنة ٥٥٨هـ ودفن بالمدينة المنورة.

انظر : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٦.

(٣٨) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء الشام ١٠٨/١ وأبو شامة المقدسي، مصدر سابق (تحقيق حلمي) ج١ ق ١ ص ١٢٦.

(٣٩) ديوانه ص : ١٠١.

(٤٠) ابن تغري بردي، مصدر سابق، ١٥١/٥ - ١٥٢.

(٤١) ديوانه، ص : ١٨٥.

(٤٢) آل عمران : ١٦٩.

(٤٣) ديوانه، ١٨٥.

(٤٤) ديوانه ٢/١٥٦.

(٤٥) التوبة : ١٢.

(٤٦) ابن تغري بردي، مصدر سابق ١٥١/٥.

(٤٧) أبو شامة المقدسي، مصدر سابق ج١ ق ١ ص : ١٢٦.

(٤٨) ديوانه، ص : ٧٩.

(٤٩) هو أبو الغارات طلائع بن رزيق، يلقب بالملك الصالح، وزير للفائز والعاقد، كان شاعراً وأديباً ومشجعاً للأدب، وحارب الصليبيين في مصر وفلسطين، وتبادل الرسائل الشعرية مع أسامة بن منقذ بهدف توحيد جهود المسلمين ضد الصليبيين، قتل بالقاهرة سنة ٥٥٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٥٢٦، والوفاء بالوفيات ١٦/٥٠٣، وشذرات الذهب ٤/١٧٧.

(٥٠) ديوانه : تحقيق د/ أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الرسالة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ج١ ص ٦٥.

- (٥١) الأنفال : ١٧ .
- (٥٢) آل عمران : ١٢٦ .
- (٥٣) شاور : هو أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار السعدي يلقب بأمر الجيوش ، استولى على الوزارة بمصر أيام العاضد بعد أن قتل رزيك بن صالح ، واتهم بمبالاة الإفرنج واستعانتهم بهم على أسد الدين (شيركوه) ، فقتله صلاح الدين . انظر : الروضتين ١٦٤/١ وفيات الأعيان ٢٢٠/١ والأعلام ٣/١٥٤ .
- (٥٤) ضرغام : هو ضرغام بن سوار ، يلقب بالمنصور استولى على الوزارة بمصر في عهد الخليفة العاضد الفاطمي ، من منافسه في الوزارة شاور بن مجير السعدي وقتل ولده طعناً . ثم قتل بأيدي ضد أسد الدين (شيركوه) بالقاهرة سنة ١٥١٤هـ . انظر الروضتين ١٦٥/١ - ١٦٦ ومفرج الكروب ١/١٣٧ .
- (٥٥) أبو شامة المقدسي ، مصدر سابق (تحقيق حلمي) ج١ ق ٢ ص : ٣٧٢ .
- (٥٦) ديوانه ، ص : ١٠١ .
- (٥٧) يوسف : ٨٧ .
- (٥٨) الزمر : ٥٣ .
- (٥٩) الحجر : ٥٦ .
- (٦٠) أبو شامة المقدسي ، مصدر سابق (تحقيق حلمي) ج١ ق ٢ ص : ٣٦٩ .
- (٦١) ديوانه ، ص ٨٠ .
- (٦٢) أبو شامة ، مصدر سابق (ط دار الجليل) ١٩٥/١ .
- (٦٣) هو حسان بن نمير الكلبي ولد بدمشق سنة ٤٨٦هـ ، وتثقف بثقافة عصره ، وجرى الشعر على لسانه وهو صغير ، ثم ما لبث أن توجه به إلى حكام الشام ومصر ، وتوثقت صلته بالملك الصالح طلائع بن رزيك ، توفي سنة ٥٦٧هـ وله ديوان شعر مطبوع صدر عن المجمع العلمي العربي بدمشق .
- انظر ترجمته في : خريدة القصر ، شعر الشام ١٧٨/١ والنجوم الزاهرة ٦٤/٦ وشذرات الذهب ٤/٢٢٠ .
- (٦٤) أبو شامة ، مصدر سابق (تحقيق حلمي) ج١ ق ٢ ص ٥٠٩ ويغذاذ (بالذال) : بغداد . القاموس المحيط (بغدد) .
- (٦٥) المصدر السابق ١٠٤/١ وابن واصل ، مفرج الكروب ٥/٣٢٥ .
- (٦٦) ديوانه ص ٦١ وديوان أسامة بن منقذ ، تحقيق د/أحمد أحمد بدوي ود/ حامد عبدالمجيد ص : ٧١ .
- (٦٧) النساء : ١٥٧ .
- (٦٨) أبو شامة ، مصدر سابق ١/١٨٤ .
- (٦٩) أبو شامة ، مصدر سابق ، ج١ ، ق ١ ، ص : ٤٥٦ .
- (٧٠) النحل : ٢٦ .
- (٧١) أبو شامة ، مصدر سابق ج١ ق ١ ص : ٤٥٦ .
- (٧٢) ديوانه ، ص : ٧٥ .
- (٧٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن رستم بن هرذوز ، يعرف بابن الساعاتي ، ولد بدمشق سنة ٥٥٣هـ ، ومعظم شعره في وقائع صلاح الدين ، وأولاده ، توفي سنة (٦٠٤هـ) ، وقد حقق ديوانه الأستاذ أنيس المقدسي . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣/٣٩٥ .

- (٧٤) ديوانه ٤١٠/٢ .
- (٧٥) المصدر السابق ٣٥٥/٢ .
- (٧٦) شهاب الدين، أبو محمد، فتيان بن علي بن نبال الأسدي، الشاغوري نسبة إلى ضاحية من ضواحي دمشق، تدعى (الشاغور) تغنى بانتصارات البطل صلاح الدين، وسجل وقائعه وتوفي سنة (٦١٥هـ) وحقق ديوانه الدكتور أحمد الجندي، انظر : ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٤/٤ والنجوم الزاهرة ٢٢/٦ وخريدة القصر (قسم شعراء الشام ٢٤٧/١) وشذرات الذهب ٦٣/٥ .
- (٧٧) ديوانه، ص : ١٤٥ .
- (٧٨) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، من أعمال فلسطين، في طرف الغور، تقع في الوسط بين دمشق والقدس فتحها شرحبيل بن حسنة سنة ١٣هـ صلحاً .
- (٧٩) ديوانه ٤٠٧/١ .
- (٨٠) دمياط : مدينة قديمة، كانت ذات سور، ومخارص ورباطات، واشتهرت بصنع الثياب، سقطت بأيدي الصليبيين سنة ٦١٦هـ واستنقذها الملك الكامل ٦١٨هـ معجم البلدان ٤٧٢/٢ .
- (٨١) ديوانه ص ١٠٠ .
- (٨٢) هو أبو عبدالله محمد بن المبارك بن علي القرقيساني، كان فاضلاً أديباً حافظاً للقرآن الكريم شاعراً، ينسب إلى قرقيسيا، وهي قرية يمنية من الرقة على نهر الخابور .
- انظر : الأنساب ١٠٥/١٠ والأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١ ص ١٠٥ ومعجم البلدان ٣٢٧/٤ وانظر في تخريب المعظم للقدس : شذرات الذهب ٦٦/٥ والنجوم الزاهرة ٢٤٥/٦ والبداية والنهاية وغيرها .
- (٨٣) د/ عبدالجليل حسن، بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية ص : ٢٣١ عن عقود الجمان لابن الشعار الموصلية (مخطوط) ٢٦١/٦ .
- (٨٤) محراب داود : من الآثار الإسلامية في القدس، انظر : د. عبدالحميد زايد القدس الخالدة، ص ٢٦٢ .
- (٨٥) باب الرحمة : أحد أبواب مدينة القدس، انظر : عبدالحميد زايد، مصدر سابق، ص ٢٥١ .
- (٨٦) جبل الطور : الجبل المشرف على نابلس، وجبل مطل على طبرية، انظر : معجم البلدان ٤٧/٤ .
- (٨٧) عين سلوان : عين نضاجة، تسقي جنناً عظيمة، وقفها عثمان بن عفان رضي الله عنه على ضعفاء بيت المقدس، تقع تحت بئر أيوب عليه السلام. وسلوان عملة في ريف بيت المقدس انظر : معجم البلدان ٢٤١/٣ .
- (٨٨) قنامة : أعظم كنيسة لدى النصارى في بيت المقدس، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة، انظر معجم البلدان ٣٦٦/٤ .
- (٨٩) الحجرات : ١٠ .
- (٩٠) الترمذي، مناقب ٧٣ .
- (٩١) أبوشامة، مصدر سابق ٢٠٧/١ .
- (٩٢) ملك ألمانيا وصقلية. أحب الرياضيات، والفلسفة والطب والعلوم والأدب العربي، وقاد حملة صليبية ضد المسلمين بمباركة البابا، وتمكن من الاستيلاء على بيت المقدس في زمن الكامل بن العادل، وتوفي سنة ٦٤٨هـ . انظر : مفرج الكروب ٢٠٦/٤ والنجوم الزاهرة ٢٧١/٦ والكامل ٤٧٢/١٢ .

(٩٣) هو أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزا أغلي، سبط الحافظ أبي الفرج بن الجوزي، مولده ببغداد سنة ٥٨٢هـ، اشتغل بالتدريس في المدرسة العزية البرانية، وتصدى للوعظ، وله عدة مصنفات أشهرها: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، واشتهر بالدعوة إلى الجهاد ضد الصليبيين، وشارك بنفسه في الجهاد ضدهم، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٤هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٤٢/٣ والبداية والنهاية ١٩٤/١٣ والتجوم الزاهرة ٣٩/٧ وشذرات الذهب ٢٦٦/٥ والوافي بالوفيات ٣٥٦/٤.

(٩٤) ابن واصل الحموي: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢٠٦/٤، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦.

(٩٥) المصدر السابق ٢٤١/٤.

(٩٦) أبو شامة المقدسي، مصدر سابق ٢٠٥/٢.

(٩٧) المصدر السابق ٢٠٦/٢ والمقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ق ١ ص: ٢٣٣.

(٩٨) انظر: أبو شامة، مصدر سابق ٢٢٩/١ وابن الأثير، الكامل ٤٠٤/١١.

(٩٩) ديوانه، ص: ٢٨٥ والروضتين (حلمي) ج١ ق ١ ص: ٣٨٧.

وجعبر: قلعة على الفرات بين بالس والرقعة قرب صفين، انظر: معجم البلدان ١٤٢/٢.

(١٠٠) البقرة: ٢٨٤ - ٢٥١ وانظر: البيضاوي، تفسيره ج١ ص ٢٥٥ وفيه أن الله تعالى أعطى داود عليه السلام

ملك بني إسرائيل، ولم يجتمعوا قبله على ملك، وآتاه النبوة، وعلمه السرد، وكلام الدواب والطيور، وانظر:

الصابوني، صفوة التفسير ١٤٥/١.

(١٠١) ديوانه، ص: ١٤٥ والروضتين (حلمي) ج١ ق ٢ ص: ٣٧٧.

(١٠٢) تقع في سفح جبل الحرمون، وقرية أو بلدة قرب دمشق. انظر: مراصد الاطلاع ٥٨/١.

(١٠٣) الشعراء: الأرض ذات الشجر أو كثيرته: القاموس المحيط (شعر).

(١٠٤) أبو شامة المقدسي، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص: ٣٥٦ - ٣٥٧.

(١٠٥) المصدر السابق.

(١٠٦) نفسه، ج١ ق ٢ ص: ٣٩٩.

(١٠٧) الأنبياء: ٥٨.

(١٠٨) ديوانه، ص: ١٤٧ وأبو شامة، مصدر سابق ج١ ق ١ ص ٣٨٣.

(١٠٩) ديوان، ص: ٨٧.

(١١٠) يوسف: ٣١.

(١١١) ديوانه، ص: ١٣ وأبو شامة المقدسي، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص: ٣٦٣.

(١١٢) وفد على مصر سنة ٥٥٠هـ برسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفاطمي الفائز، وحظي عنده، وصار من كبار

شعراء عصره، وسجل شعره كثيراً من الأحداث التي جرت بمصر في أواخر العهد الفاطمي.

انظر: محمد كامل حسين، في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٠م ص ٢٥٥.

(١١٣) أبو شامة المقدسي، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص: ٤١٤.

(١١٤) المصدر السابق.

(١١٥) ديوانه، ص: ١٦٠ وانظر: أبو شامة، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص ٤٥٤.

- (١١٦) ديوانه ، ص : ١٨٣ وأبو شامة ، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص : ٣٧٢ .
- (١١٧) أبو شامة : مصدر سابق ، ج١ ق ٢ ص : ٤٦٣ .
- (١١٨) هو أبو الفضل ، حكيم الزمان ، عبد المنعم بن عمر بن عبدالله الجلياني الغساني الأندلسي ، ولد بجليانة في الأندلس ، وله عدد من الدواوين . مات بدمشق سنة ٦٠٣ هـ .
- انظر ترجمته في : ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤ وفوات الوفيات ٢/٤٠٧ ومعجم البلدان ٢/١٥٧ .
- (١١٩) أبو شامة المقدسي ، مصدر سابق ، ج١ ق ٢ ص : ٦٤٧ .
- (١٢٠) يوسف : ١٠٠ .
- (١٢١) يوسف : ٤ .
- (١٢٢) ديوانه ٢/٤٠٦ وأبو شامة ، مصدر سابق ٢/٨٤ .
- (١٢٣) هو صاحب عون الدولة بن هبيرة ، وزير الخليفة العباسي المستضيء . انظر الروضتين ١/١٩٦ .
- (١٢٤) أبو شامة ، مصدر سابق ، ج١ ق ٢ ص : ٥٠١ .
- (١٢٥) البقرة : ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ .
- (١٢٦) ديوانه ، ص : ٨٦ وأبو شامة ، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص : ٤٥٤ .
- (١٢٧) هو عز الدين ، هبة الله بن أبي الفضل سناء الملك ، أبو عبدالله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي المعروف بابن سناء الملك ، ولد سنة ٥٠٥ هـ على الأرجح وتوثقت صلته بالقاضي الفاضل ، فنظم في مدحه عدداً من القصائد ، ودارت بينها مراسلات ، ومدح صلاح الدين ، وأخاه العادل أبا بكر ، والكامل بن العادل ، وله ديوان مطبوع وعدد من المؤلفات . توفي بالقاهرة سنة ٦٠٨ هـ .
- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٦/٦١ والنجوم الزاهرة ٦/٢٠٤ ومفرج الكروب ٢/٢٣٤ وشذرات الذهب ٥/٣٥ وسواها .
- (١٢٨) ديوانه ص : ١٥٩ .
- (١٢٩) أبو شامة المقدسي ، مصدر سابق ١/٥٦ .
- (١٣٠) المصدر السابق ١/٨٥ .
- (١٣١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي هبة الله اللخمي ، من ولد قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، ملك الحيرة ، ولد سنة ٥٨٣ هـ وتوفي سنة ٦٢٧ هـ ، وكان في حاشية الملك ناصر الدين محمد بن العادل ، وأسد الدين المهراني . انظر : الأعلام ١/٦٠ .
- (١٣٢) ديوانه ، (مخطوط) ، ورقة (٢٠) .
- (١٣٣) أبو شامة ، مصدر سابق ١/٢٢ .
- (١٣٤) المصدر السابق ١/٧٥ والختر : الغادر ، والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .
- (١٣٥) أبو شامة ، مصدر سابق ١/٧٦ والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص : ١٤٠ والكامل في التاريخ ٩/٣٢ .
- (١٣٦) أبو شامة ، مصدر سابق ١/٨٧ .
- (١٣٧) المصدر السابق ١/٦٣ .
- (١٣٨) ديوانه ، ص : ٨١ وأبو شامة ، مصدر سابق ج١ ق ٢ ص : ٤٠٤ .

- (١٣٩) ديوانه ، ص ١٨٣ وأبو شامة ، مصدر سابق ج١ ق٢ ص : ٣٧٢ .
- (١٤٠) ديوان ، ص : ١٨٢ وأبو شامة ، مصدر سابق ١/٣٧٢ والخريدة ، (بداية قسم شعراء الشام) ص : ٣٤ .
- (١٤١) ديوانه ، ص : ٧٦ وانظر : أبو شامة ، مصدر سابق ١٥/٢ و ١٠٢/٢ .
- (١٤٢) أبو شامة ، مصدر سابق ١٠٤/٢ - ١٠٥ .
- (١٤٣) هو شرف الدين أبو علي محمد بن أسعد بن معمر الجواني ، موصل ي الأصل ، مصري النشأة والمولد ، توفي سنة ٥٨٨هـ .
- انظر : الرافي بالوفيات ٢٠٢/٢ والروضتين ١٠٥/٢ .
- (١٤٤) انظر : محمود إبراهيم ، حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر شعرائها ، ص : ٦٦ .
- (١٤٥) أبو شامة ، مصدر سابق ١٠٥/٢ .
- (١٤٦) المصدر السابق ، ج١ ق٢ ص ٣٣٩ وشبر وشبير : الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، اللسان (شبر) .
- (١٤٧) ديوانه ، ص : ١٧٠/١٦٩ وأبو شامة ، مصدر سابق ، ج١ ق٢ ص ٣٧٠ .
- (١٤٨) أبو شامة ، مصدر سابق ج١ ق٢ ص ٣٣٩ .
- (١٤٩) دلجة من قرى صعيد مصر ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٦٧/٤ .
- (١٥٠) ديوان المبشرات القدسيات ، تحقيق عبد الجليل حسن ، دار البشير ، عمان ص ١٣٥ .
- (١٥١) ديوان ٧٢/١ وأبو شامة ، مصدر سابق ١٠٧/٢ .
- (١٥٢) ديوانه ، ص : ١٤٠ .
- (١٥٣) الصف : ١١ ، ١٢ .
- (١٥٤) أبو شامة ، مصدر سابق ١٠٥/٢ .
- (١٥٥) ديوان المبشرات القدسيات ، ص : ١٣٧ وأبو شامة ، مصدر سابق ١١٦/٢ ولوبية : قرية إلى الغرب من طبرية ، على بعد ثلاثة عشر كيلاً منها ، تقع على طريق الناصرة ، وفيها موقع أثري ومقابر منقورة في الصخر ، ومعاصر ، وصهاريج ، كما ذكر ياقوت ، منها إلى الشرق (خان لوبيا) التي دمرها اليهود سنة ١٩٤٨م .
- انظر : مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، دار الجليل ، ج١ ق٢ ص : ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، ٤٢٤ ، ٤٤٦ .
- (١٥٦) ديوان المبشرات القدسيات ، ص : ١٣٦/١٣٥ وأبو شامة المقدسي ، مصدر سابق ، ص : ١٣٥/١٣٦ .
- (١٥٧) ديوانه ٣٨٥/٢ .
- (١٥٨) هو محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد الكنان الأندلسي ، ولد سنة (٥٣٩هـ) وتوفي بالإسكندرية سنة (٦١٤هـ) انظر ترجمته في : نفح الطيب ج٢ ص ١٤٢ .
- (١٥٩) شعر ابن جبير : جمع وتحقيق وتقديم فوري الخطبا ، دار النايبي للنشر والتوزيع ، ط (١) ص : ٤٧ / ٤٨ .
- (١٦٠) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أخو الخلفاء : الوليد وهشام وسليمان ويزيد ، وقائد الجيوش الإسلامية إلى بلاد الروم ، حاصر القسطنطينية ، وحقق الانتصارات الكبيرة في بلاد الترك والسند ، سنة (١٠٩هـ) توفي بالشام سنة (١٢٠هـ) انظر : الأعلام ٧/٢٢٤ .
- (١٦١) أبو شامة ، مصدر سابق ١٤/٢ . (١٦٢) ديوانه ، ص : ١٨٢ .

مصادر البحث ومراجعته

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأبيوردي، محمد بن أحمد بن إسحاق، ديوانه، حققه د/عمر الأسعد، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ج١ - ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م وج (٢) ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٣ - الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت (٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- ٤ - ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت (٦٣٠هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليعات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- ٥ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٦٦هـ/١٩٦٦م.
- ٦ - أسامة بن منقذ، ت (٥٨٤هـ) ديوانه، تحقيق د/ أحمد أحمد بدوي، ود/ حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٣م.
- ٧ - البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (٧٣٩هـ) مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد علي البجاوي، نشر دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- ٨ - البهاء زهير، بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلب العتكي الأزدي، ديوانه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي، دار المعارف، مصر ١٩٧٧م.
- ٩ - البيضاوي، ناصر الدين أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار

التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.

١٠ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، تـ (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية نشر مكتبة الخانجي، مصر.

١١ - الترمذي : الإمام الحافظ أبو عيسى بن سورة الترمذي (ت : ٢٧٩)، سنن الترمذي، ط المدنى، القاهرة.

١٢ - الجلياني، أبو الفضل حكيم الزمان عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله الجلباني الغساني الأندلسي (٦٠٣هـ) ديوان المبشرات والقدسيات : جمعه وحققه د/عبدالجليل حسن عبدالمهدي، نشر دار البشير للنشر والتوزيع، عمان ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٣ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ت (٥٩٧هـ)، فضائل القدس، حققه د/جبرائيل جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

١٤ - الخطبا، فوزي، شعر ابن جبير، دار الينابيع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٥ - ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أبي بكر، ت (٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٦ - زايد، عبدالحميد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٧٤م.

١٧ - الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الثالثة، وطبعة دار العلم للملايين بيروت.

١٨ - ابن الساعاتي، أبو الحسن علي بن محمد بن رستم بن هردوز، ت (٦٠٤هـ) ديوانه، تحقيق أنيس المقدسي، مطبعة كلية الآداب والعلوم بالجامعة الأمريكية، بيروت ١٣٣٨هـ/١٩٣٩م.

١٩ - سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله ت (٦٥٤هـ)

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الطبعة الأولى، الهند ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

٢٠ - السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت (٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى.

٢١ - السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت (٥٦٢هـ) تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، طبع حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢٢ - ابن سناء الملك، القاضي السعيد عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (٦٠٨هـ) ديوانه، تحقيق د/ محمد عبدالحق. دار الجليل، بيروت.

٢٣ - الشاغوري فتیان بن علي بن ثمال الأسدي ت (٦١٥هـ) ديوانه، تحقيق د/ أحمد الجندي، المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.

٢٤ - أبو شامة المقدسي شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجليل بيروت، وجـ١ تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، مراجعة مصطفى زيادة، القسم الأول ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م والقسم الثاني ١٩٦٢م، القاهرة.

٢٥ - ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم ت (٦٤٨هـ) الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، نشر المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، وطبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٣م.

٢٦ - الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير: دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٧ - صالح مسعود بويصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٨م.

٢٨ - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت (٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق هـ ريتز الطبعة الثانية، فيسبادن، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٢٩ - عباس، د/ فضل حسن، القصص القرآن إيماءه ونفحاته، دار الفرقان، عمان ط (١) سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- ٣٠ - د. عبد الجليل عبد المهدي ، بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، دار
البشير، عمان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٣١ - العباد الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد ت (٥٩٧هـ) خريدة
النصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق د/شكري فيصل، نشر
المجمع العلمي العربي، طبع مطبعة المكتبة الهاشمية، دمشق
١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.
- وقسم شعراء مصر تحقيق د. شوقي ضيف وأحمد أمين، ود/ إحسان عباس،
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١م.
- وقسم شعراء العراق، تحقيق محمد بهجة الأثري ود/ جميل سعيد، مطبعة
المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.
- ٣٢ - العباد الأصفهاني، ديوانه، جمع وتحقيق د/ ناظم رشيد، مطابع جامعة
الموصل / العراق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- ٣٣ - ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت (١٠٨٩هـ) شذرات
الذهب في أخبار من ذهب، طبع مطبعة القدس ، القاهرة ١٣٥١هـ.
- ٣٤ - الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن محمد (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط،
المطبعة المصرية ، القاهرة ١٩٣٨م.
- ٣٥ - القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت (٦٤٦هـ) المحمدون من
الشعراء تحقيق محمد عبدالستار خان، طبع دائرة المعارف العثمانية، حيدر
آباد، الدكن، الهند ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.
- ٣٦ - ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد، ت (٥٥٥هـ) ذيل
تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٥٨م.
- ٣٧ - ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير . ت (٧٧٤هـ)،
البداية والنهاية، طبع مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة ، بيروت
١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٣٨ - اللخمي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن دنيير اللخمي (ت
٦٢٧هـ) ديوانه، مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم (٨٧٤٤).

- ٣٩ - المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ت (١٠٤١هـ) نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د/ إحسان عباس طبعة مصر.
- ٤٠ - المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت (٨٤٥هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٦م.
- ٤١ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ٤٢ - ابن منير الطرابلسي، أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح، ت (٥٤٨هـ) جمع د/ عمر عبدالسلام تدمري، دار الجيل، مكتبة السائح، الطبعة الأولى، طرابلس ١٩٨٦م.
- ٤٣ - ابن النجار البغدادي، الحافظ محب الدين محمد بن محمود بن الحسن ت (٦٤٣هـ) ذيل تاريخ بغداد، صحح بمشاركة د/ قيصر فرح، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- ٤٤ - ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي، ت (٦٩٧هـ) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشره د/ جمال الدين الشيال.
- ٤٥ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (٦٢٦هـ) معجم البلدان، طبع دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.